

الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد

(١٢٧٨ - ١٣٥٩ هـ / ١٨٦١ - ١٩٤٠ م)

حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة

دراسة تاريخية

د. عبدالله بن إبراهيم التركي
قسم الاجتماعيات - كلية المعلمين - الرس

يذكر التاريخ الحديث للمملكة العربية السعودية في صفحاته رجالاً أسهموا بما يستطيعونه في سبيل رفعة دينهم ثم خدمة بلادهم وبناء وطنهم، وشاركوا في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في ترسیخ الأمن، والقضاء على الفتنة، والقيام بمسؤوليات عظيمة في مناطق مختلفة من هذه البلاد المعطاء.

ومن هؤلاء الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد - رحمه الله - الذي قام بجهود مشكورة في القضاء والدعوة إلى الله بالحكمة والموسطة الحسنة، وفي سبيل نشر العقيدة الصحيحة، المبنية على الدليل من الكتاب والسنة، ونشر العلم بين الناس، إضافة إلى مشاركته في المؤتمر الإسلامي الأول الذي أقيم في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ممثلاً عن الملك عبدالعزيز، ورئيساً للوفد السعودي، وإن كان طابع هذا المؤتمر سياسياً إلا أنه دحضر الحجج، وفند الآراء المنادية بإعادة بناء القباب على القبور، إضافة إلى جهوده في مناصحة الإخوان وعامة الناس، ومشاركته في وضع أساس التنظيمات الإدارية للقضاء في منطقة الحجاز، والعمل على تنظيم شؤون الحرمين الشريفين.

أهمية البحث وهدفه:

تكمّن أهمية هذا البحث أنّه لا توجّد دراسة علمية - حسب علمي - تتبع الجهد الذي قام بها الشيخ عبدالله بن بليهيد في سبيل الدعوة والقضاء، رغم وجود المادّة العلميّة اللازمّة من وثائق متفرقة، وصحف قديمة، ونبذ موجزة مبسوّطة في بطون كتب التراجم والتاريخ، ولذلك تتبع الباحث هذه الوثائق، وحصل عليها من مظانّها، وجاءت الصحف القديمة، والنّبذ المتفرقة، وعمل مقابلة شخصيّة مع واحد من الذين عاصروا الشّيخ في آخر حياته^(١). ويهدف هذا البحث إلى الخروج بدراسة شاملة لحياة الشّيخ وبيان جهوده في القضاء والدعّوّة.

وسوف أُعرّف بدأيّة بأسرة الشّيخ، ثم مولده ونشأته، وسوف أتناول بعد ذلك رحلاته لطلب العلم، وجهوده في الدعّوّة والقضاء في منطقة القصيم، ثم أعرّج على تعيينه قاضياً في حائل للمرة الأولى، ثم أبين جهوده في القضاء خلال رئاسته له في الحجاز، إضافة إلى ما قام به في مجال تنظيم شؤون الحرمين، وتصحّيح بعض الجوانب العقدية الخاطئة الموجودة لدى بعض الجهلة هناك، وكذلك مشاركته في مؤتمر العالم الإسلامي الأول الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م. وسوف أعرض جهوده التي قام بها الشّيخ في توعية الإخوان، وعودته للقضاء في حائل للمرة الثانية، ومنهجه في القضاء، وأنشطته العامة، ومؤلفاته، ثم أشير إلى وفاته، وأختتم هذا البحث بأهم النّتائج التي تم التوصل إليها^(٢).

(١) هو الشّيخ عبدالعزيز الجريبي، متّعه الله بالصحة والعافية، في مقابلة أجريت معه في ١٤٢٥/٢/١٣هـ.

(٢) بعد الانتهاء من إعداد هذا البحث اطلعت على الكتاب الذي صدر عن الشّيخ عبدالله بن بليهيد بوصفه من علماء حائل، الذي ألفه الأستاذان: سعد العقنان وعبدالعزيز البليهيد، ووجدته كتاباً قيّماً، ولكنني لم أجده فيه ما يمكن إضافته، لكون المادّة العلميّة التي أخذنا منها جميعاً متقاربة جدّاً، ومصدرها واحد، بل إن أحد مصادرني الذي زودني بالمادّة العلميّة هو الأستاذ عبدالعزيز البليهيد أحد مؤلفي الكتاب، وقد أشرت إلى ذلك في هذه المقدمة.

وأشير هنا إلى أن الباحث ضرب صفحًا عن القصص والأخبار المتداولة حول الشيخ؛ لعدم وجود أسانيد علمية لها يمكن الركون إليها، وأشكر هنا كلاً من: الشيخ سعود بن صالح البليهد، والأستاذ عبدالعزيز بن ناصر البليهد، والأستاذة هيلة بنت محمد البليهد، على جهودهم في تزويدي بالمادة العلمية المتوافرة لديهم، وكذلك الشكر موصول إلى القائمين على المكتبات العلمية الخاصة وال العامة في مدينة الرياض، وفي مكة المكرمة، والقائمين على دارة الملك عبدالعزيز.

أولاً: أسرته ونشأتها

هو عبدالله بن سليمان بن سعود^(٢) بن محمد بن عبدالله بن سليمان بن عثمان بن بليهد بن عبدالله بن فوازن بن محمد بن عائد بن بليهد بن عثمان^(٤)، وأل بليهد عشيرة من آل سيار (السيابرة)، وهم فخذ من آل جبور^(٥) أحد فروع قبيلةبني خالد العامرية العدنانية^(٦).

استوطن عثمان جد آل بليهد بلدة غسلة إحدى القرائن في منطقة الوشم بعد أن عمرها، وبرز من ذريته فيها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن بليهد الذي ذكره المنقول في تاريخه فقال: "وفي سنة أربعة وتسعين وألف قرأت على الشيخ عبدالله بن ذهلان بحضور عبدالرحمن بن بليهد"، واستمر في طلبه العلم حتى توفي في

(٢) يذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ أن الجد الثاني لابن بليهد هو سالم، وهو ما لم يذكره غيره. آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبد اللطيف، مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط١، دار اليماماة، الرياض، ١٤٢٢هـ / ١٩٧٢م، ص ٢٢٦.

(٤) البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط٢، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٨١م، ج ٤، ص ١٣٨.

(٥) حكم الجبور منطقة شرق شبه الجزيرة العربية، وامتد نفوذهم إلى منطقة نجد وجزيرة البحرين في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، ثم بدأ نفوذهم بالضعف بعد مقتل زعييمهم مقرن بن زامل سنة ١٥٢١هـ / ١٩٢٧م، على يد البرتغاليين. الحميدان، عبد اللطيف بن ناصر، التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية ١٤١٧هـ / ١٩٣١م - ١٤٢٥هـ / ١٩٢٥م، مجلة كلية الآداب جامعة البصرة، عدد ١٦، السنة ١٤، ١٩٨١م، ص ٣٧ وما بعدها.

(٦) الوهبي، عبدالكريم بن عبدالله، بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ١٤١٠هـ / ١٩٩٩م، ط١، دار ثقيف للنشر، الرياض، ١٤١٠هـ / ١٩٩٤م، ص ٨٠.

الوباء الذي أصاب بلدان نجد عام ١٠٩٩هـ / ١٦٨٧م^(٧). كما بُرِزَ من ذريته الشیخ عبد الرحمن بن سلیمان بن عثمان بن بليهد الذي تولى قضاء المجمعۃ حتى وفاته عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م^(٨).

وانطلق الشیخ سعود بن محمد بن بليهد جد المترجم له إلى منطقة القصیم، واستوطن عيون الجواء^(٩) بعد أن عينه الإمام تركی بن عبدالله قاضیاً فيها، ويذكر الشیخ إبراهیم بن ضویان أن "سعود بن بليهد له مشارکة في العلم،... خلف كتاباً بخط يده، وكان ابنه سلیمان ينتصب إماماً في قرى القصیم الشمالیة"^(١٠). ومن هنا يتبيّن أن سلیمان بن سعود والد الشیخ عبدالله كان على قدر لا بأس به من العلم، مکنه ذلك من تولی إمامۃ الناس في الصلاة مع ما یستلزم ذلك من الأمور الأخرى.

ولد الشیخ عبدالله بن بليهد في بلدة القرعاء^(١١) عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م^(١٢)، فأخذ مبادئ القراءة والكتابة عن والده، وحفظ القرآن

(٧) المنقول، أحمد بن محمد، تاريخ الشیخ أحمد بن محمد المنقول، تحقيق ونشر الدكتور عبدالعزيز الخويطر، ط١، الرياض، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص٥٩، ٦٤-٦٥؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبداللطیف آل الشیخ، ط٤، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج٢، ص٢٣٧.

(٨) البسام، مصدر سبق ذکرہ، ج٣ ص٦٠.

(٩) عيون الجواء مدينة صغيرة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة بريدة، وتبعد عنها ما يقارب ٤٠ كيلو. العبوذی، محمد بن ناصر، معجم بلاد القصیم، ط٢، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج٤، ص١٧٨٢-١٧٩٢.

(١٠) العمري، صالح بن سلیمان، علماء آل سلیمان وتلامذتهم وعلماء القصیم، ط١، مطابع الإشعاع، الرياض، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج٢، ص٢٣٢؛ البسام، مصدر سبق ذکرہ، ج٢، ص٧٤؛ ج٤، ص١٤٠.

(١١) القرعاء قرية صغيرة قديمة العمران تقع إلى الشمال من مدينة بريدة على بعد ٢٣ كيلو تقريباً. العبوذی، مصدر سبق ذکرہ، ج٥، ص١٩٣٤-١٩٥٦.

(١٢) يذكر علي الهندي أحد تلاميذه أن ميلاده كان في عام ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م. وهذا فيما يبدو غير دقيق؛ إذ يعني ذلك أن الملك عبدالعزيز حينما عينه قاضياً في الحجاز كان عمره ٨٤ سنة. الهندي، علي بن محمد، زهر الخمائی في تراجم علماء حائل، د. ط، د. ت، د. ن، ص١٨.

عن ظهر قلب، وشجعه والده على طلب العلم^(١٣) بعد أن ظهرت له استعداداته الفطرية، وتهيأت له عوامل ساعدته فيما بعد على سرعة التحصيل، والنجاح في الدراسة.

ثانياً: رحلاته لطلب العلم

قصد عبدالله بن بليهد في بداية الأمر بلدة المذنب^(١٤) لطلب العلم على الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل^(١٥) في التفسير والحديث وغيرهما من علوم الشريعة، ثم انتقل إلى بريدة، فطلب العلم هناك على الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم^(١٦) خاصة علوم العقيدة والتفسير والحديث والفقه وأصوله، حتى فاق أقرانه حفظاً وفهم^(١٧). ويدرك أحد تلاميذه أنه سمعه مرة وهو في منزله بحائل يقول لأبنائه وهو يحثهم على طلب العلم: "والله لقد كنت أطلب العلم على الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم ببريدة، وإن وسادتي لعدة شهور لبنة في سطح الجامع في الصيف"^(١٨).

(١٣) البسام، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ١٤٠.

(١٤) المذنب إحدى مدن منطقة القصيم تقع في الجهة الجنوبية منها عمرت حوالي القرن السادس أو السابع الهجري، ومعنى المذنب، أي: مسيل الماء إلى المناطق المنحدرة. العبيدي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٢٣٦ - ٢٢٤٣؛ الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المعجم المختصر)، ط ١، دار اليمامه، الرياض، د. ت، ج ٢، ص ١٢٩٦.

(١٥) ولد الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل في المجمعة، ولما شب عن الطوق طلب العلم على علمائها، ثم درس على عدد من علماء الرياض، ثم عُين قاضياً ومدرساً في المذنب فاستوطنهما، والتلف حوله عدد كبير من الطلبة من أنحاء منطقة نجد، وتوفي في عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م. العمري، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٦٥ - ٣٦٧.

(١٦) ولد الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم في بريدة عام ١٣٢٩هـ / ١٩٢٠م، وفي الثانية عشرة من عمره انقلت كفالته إلى عممه الشيخ عمر، تتلمذ على عممه وعلى الشيخ عبدالعزيز العبادي والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، تولى إماماة مسجد عممه، ثم جلس للتدرис إلى أن توفي في عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م. للاستزادة، انظر: العمري، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٨٥ - ٤٨٦.

(١٧) العمري، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٢٢.

(١٨) المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

كما طلب العلم في بريدة على الشيخ محمد بن عمر بن سليم^(١٩)، والشيخ عبدالله^(٢٠) بن مفدي^(٢١). وفي الرس طلب العلم على الشيخ صالح بن قرناس آل قرناس^(٢٢)، وأكب على كتب ابن تيمية وابن القيم، فكانت كما يقول أحد طلبة العلم: "صبوحه وغبوقه"^(٢٣). وبعد أن نال نصيباً عالياً من العلم جلس للتدريس في بريدة، وأخذ عنه عدد من الطلبة^(٢٤)، ويبدو أن ذلك كان بطلب من بعض مشايخه هناك لما لمسوه منه من التفوق والنبوغ^(٢٥).

وتذكر بعض المصادر أن المترجم له أصيب بمرض في الأمعاء، ونظراً لعدم وجود مستشفيات متقدمة في ذلك الوقت في شبه الجزيرة العربية اضطر إلى السفر إلى الهند للعلاج، فمن الله عليه بالشفاء بعد عملية جراحية أجريت له هناك، وقد استغل ابن بليهد

(١٩) ولد الشيخ محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن سليم في بريدة عام ١٤٥٥هـ / ١٨٢٩م، وتتعلم على الشيخ سليمان بن مقبل والشيخ عبدالله أبابطين وعلى علماء الرياض، ثم جلس للطلاب، وتتعلم عليه أناس كثيرون، بز في الفقه، ورفض تولي قضاء بريدة، توفي في بريدة عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م. العمري، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٤٨-٣٤.

(٢٠) ولد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن مفدي في بريدة عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م، ونشأ بها، وتتعلم على علمائها، وأشهرهم الشيخ محمد بن سليم والشيخ سليمان بن مقبل، وتتعلم على علماء الرياض، وتولى إماماً أحد مساجد بريدة، وجلس للتدريس فيه، وتتعلم على يديه عدد كبير من الطلاب، اتصف بالرzed، توفي عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م. العمري، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٧٦-٣٧٩.

(٢١) آل الشيخ، مرجع سبق ذكره، ص ٩٣.

(٢٢) ولد الشيخ صالح بن قرناس آل قرناس في الرس عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م، وتتعلم على والده وأخيه محمد والشيخ محمد بن سليم والشيخ سليمان بن مقبل، وتولى قضاء الرس بعد أخيه محمد عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م، وبقي في القضاء حتى عام ١٣٢٠هـ / ١٩١٢م، وتوفي عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م. البسام، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٥٢٦-٥٣٠.

(٢٣) القاضي، محمد بن عثمان، روضة الناظرين وحوادث السنين، ط١، مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ج ١، ص ٣٩٢.

(٢٤) المسلم، إبراهيم، عبدالعزيز بن سعود وشخصيات في الذاكرة، ط١، د. ن، د. م، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ١٣٢.

(٢٥) مقابلة مع الشيخ عبدالعزيز الجريبي سبقت الإشارة إليها.

وِجُوده هناك؛ فطلب علم الحديث الذي تميز به بعض علماء الهند، فأجيز بسند متصل بالرواية^(٢٦). وقد كان للشيخ في هذه الرحلة جهود موفقة في شرح حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومتعدد أهل نجد لعلماء الهند^(٢٧). ولا تذكر المصادر المتوافرة بين أيدينا المدة التي أمضها هناك.

عاد الشيخ عبدالله بن بليهد بعد ذلك إلى الرياض، فكان مكاناً مناسباً له لطلب العلم على علمائها، فجلس عند ثلاثة من أبرز العلماء هناك لدراسة الأصول والفروع إضافة إلى علوم اللغة العربية^(٢٨)، ثم رجع بعد ذلك إلى القصيم منهياً بذلك رحلاته العلمية، بعد أن نال نصيباً وافراً من العلم.

ثالثاً: جهوده في الدعوة والقضاء في منطقة القصيم

بعد عودة الشيخ ابن بليهد إلى بلدته الأولى القراء لم يلبث إلا قليلاً حتى انتقل مع أسرته إلى البكيرية^(٢٩)، وتولى إماماً جامعاًها بعد وقت قصير من وصوله هناك، وفرح به أهل البكيرية، فقد رأوه بما يستحقه من تقدير، فأصبح هو المرجع في الإفتاء، ولم يلبث إلا قليلاً حتى جلس للتدرис في جامعها، فقصده الطلاب من سائر بلدان القصيم، وذاع صيته بين الناس هناك، ولم يقتصر الشيخ على ذلك، بل إنه كان يقوم بين الفينة والأخرى بالتجول بين بلدان القصيم للوعظ والإرشاد والإفتاء^(٣٠).

(٢٦) القاضي، مصدر سبق ذكره، ج ٣٩٢، ١.

(٢٧) العمري، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ٣٣٤.

(٢٨) القاضي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٩٣-٣٩٢؛ العمري، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ٣٣٤.

(٢٩) البكيرية إحدى البلدان الواقعة في وسط منطقة القصيم، حدثت فيها معركة البكيرية عام ١٢٢٢هـ، وهي ذات نخل ومزارع، اشتهر أهلها بالدين والعلم.

الجاسر، المعجم الجغرافي المختصر، ج ١، ص ٢٩٠.

(٣٠) الهندي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨؛ مقابلة مع الشيخ عبد العزيز الجريبيع سبقت الإشارة إليها.

وقد ارتبط الشيخ عبدالله بن بليهد بعلاقة وثيقة مع الملك عبدالعزيز منذ فترة مبكرة، وكذلك مع علماء آل الشيخ، الأمر الذي جعل الملك عبدالعزيز يوليه قضاء البكيرية والرس والبدائع^(٣١) والخبراء^(٣٢)، وما حولها من القرى والبادية، وذلك في عام ١٢٢٢هـ / ١٩١٤م، فكان الشيخ يتقل بين هذه البلدان للقضاء والفتيا والدعوة والإرشاد^(٣٣)، وتتلمذ على يديه في تلك المنطقة عدد كبير من طلبتها، وصار له أثر كبير في توجيه الوصايا والأوقاف الوجهة الشرعية، وتصحیح بعض المفاهيم العقدية الخاطئة، ويدرك بعض المعاصرین له^(٣٤) أنه كان يرقى من مس الجان، فاستفاد منه خلق كثير. فكان الشيخ هو المعتمد الأول في التدريس والفتيا في تلك البلدان، فوفق في أحکامه، وظل على هذا الحال حتى عام ١٢٤١هـ / ١٩٢٢م حيث لاه الملك عبدالعزيز قضاء حائل بعد ضمهما إلى حكمه.

رابعاً: تعيين الشيخ عبدالله بن بليهد قاضياً في حائل للمرة الأولى

بعد أن استعاد الملك عبدالعزيز حائل رأى بثاقب حكمته وبصيرته أن منطقة حائل وما حولها من المناطق الشمالية تحتاج إلى قاض يجمع بين العلم والحكمة؛ فوجد ضالته تلك في الشيخ عبدالله بن بليهد، فنقله إلى قضاء تلك المنطقة في عام ١٢٤١هـ / ١٩٢٢م، وكان في إمارتها إذ ذاك إبراهيم بن سبهان، ثم تولى بعده الأمير

(٣١) البدائع إحدى بلدان منطقة القصيم، تقع وسط المنطقة، وتبعد عن بريدة ٤٥ كيلو تقريباً. الجاسر، المعجم الجغرافي المختصر، ج ١، ص ٢٦١.

(٣٢) الخبراء تقع وسط منطقة القصيم تقريباً، وهي بلدة قديمة، لها ذكر في مصادر التاريخ السعودي، وتبعد عن بريدة ٥٥ كيلو. الجاسر، المعجم الجغرافي المختصر، ج ١، ص ٥١١.

(٣٣) البسام، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ١٤١؛ المسلم، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٣.

(٣٤) مقابلة مع الشيخ عبدالعزيز الجريبي، سبقت الإشارة إليها.

عبدالعزيز بن مساعد بن جلوى في عام ١٤٢٢هـ / ١٩٢٣م^(٣٥)، فكان ذلك الأمير ذا سلطة قوية سخرها لتبثيت الأمان في تلك المنطقة، ولتنفيذ أحكام القضاء التي تصدر عن الشيخ عبدالله بن بليهد آنذاك.

وقد كان للشيخ عبدالله جهود موقفة في تصحيح بعض المفاهيم العقدية الخاطئة، وعقد دروساً علمية متعددة هناك، ويدرك الشيخ عبدالله البسام: أن ابن بليهد وجد في مدينة حائل مكتبة عامرة خلفها آل رشيد أمراء حائل السابقين، فاستفاد منها فائدة كبيرة^(٣٦).

وقد كان للشيخ عبدالله بن بليهد مراسلات مع الملك عبدالعزيز في تلك الفترة، الهدف منها السلام والاطمئنان، ومتابعة الأوضاع،

كان للشيخ بن بليهد مراسلات مع الملك عبدالعزيز في تلك الفترة، الهدف منها السلام والاطمئنان، ومتابعة الأوضاع

انظر مثلاً إلى رسالة بعثها الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالله مؤرخة في ٢٢ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ ردًا على رسالته جاء فيها بعد

السلام والسؤال: "...أخبار طرقنا من فضل الله ساكنه، ولا حدث ما يوجب الإفادة سوى دوام الخير والعافية منطرف [هكذا] الأمطار ولله الحمد غزيرة جانا أمطار متابعة، وكل من جا من [هكذا] الجهات يذكر الأمطار ويعظمها نرجو الله تتبع كل خير، ويعم به أوطان المسلمين، وينزل فيه البركة آمين. هذا ما لزم تعريفه، بلغ السلام الأخ إبراهيم والإخوان، ومنا الوالد الإمام والعيال يسلمون... ودمتم محروسين"، ثم ختمت الرسالة بخاتم الملك عبدالعزيز^(٣٧). وتؤكد هذه الوثيقة عمق العلاقة بين الجانبين والثقة المتبادلة.

(٣٥) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ط٧، دار العلم للملاليين، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٥٦؛ العثيمين، عبدالله بن صالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، طبعة الأمانة العامة للاحتجاج بمروي مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٤٩٩هـ / ١٩٩٩م، ج٢، ص١٧٢.

(٣٦) مصدر سابق ذكره، ج٣، ص١٤١.

(٣٧) وثيقة رقم (١) مصورة من دارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق من ورقة واحدة، ضمن المجموعة ذات الرقم (١٤٠٣).

خامساً: جهود الشيخ عبدالله بن بليهد خلال رئاسته القضاء في الحجاز

تعد استعادة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - للحجاز في عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ذات أهمية بالغة له، إلى جانب مسائل أخرى كانت لها الأهمية نفسها.

والظاهر من خلال ما ورد في بعض المصادر أن علاقة الشيخ ابن بليهد بدأت مع الملك عبدالعزيز بشكل مباشر بعد استعادة الحجاز، إذ التقى الملك عبدالعزيز في حج عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م^(٣٨)؛ فأعجب بعلمه، وقوته حجته، وسرعة بدعيته؛ فأصدر الملك عبدالعزيز أمراً بنقل الشيخ من قضاء حائل، وتعيينه رئيساً للقضاء في منطقة الحجاز، فباشر الشيخ عمله بدءاً من يوم الخميس ١٤/١٢/١٣٤٤هـ - ٧/٧/١٩٢٥م^(٣٩).

ويذكر الشيخ عبدالله البسام أن تولية الملك عبدالعزيز للشيخ ابن بليهد قضاء حائل ثم الحجاز بعد دخوله يدل على أمرتين:

١ - معرفة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - للرجال، وحسن اختياره لهم.

٢ - المميزات العديدة التي تميز بها الشيخ ابن بليهد، فبالإضافة إلى العلم جمع الشيخ بين العقل والحكمة وحسن السياسة، وهذا ما يحتاجه سكان هاتين المنطقتين بعد أن استعادهما الملك عبدالعزيز، فهم محتاجون إلى ملاطفة وتأليف وطمأنة، لا سيما وأنهم لم يألفوا الحكم الجديد، ولا يعرفون حقيقته، ويتوجسون منه خيفة بسبب الدعاية المشوهة، فهم في حاجة إلى رجل له

^(٣٨) صحيفـة أم القرى، العدد ٢٧، بتاريخ ١٢/٥/١٣٤٣هـ، ص ٣.

^(٣٩) صحيفـة أم القرى، العدد ٣٦، بتاريخ ٢/١٥/١٣٤٣هـ، ص ٣؛ ابن حمدان، سليمان، ترـاجـم لـمـتأخـريـ الحـنـابـلـةـ، تـحـقـيقـ بـكـرـ أـبـوـ زـيدـ، طـ١ـ، دـارـ اـبـنـ الجـوزـيـ، الـرـيـاضـ، ٩٢٠ـهـ، ص ٩٣ـ.

دراسة وسياسة وحنكة، ليطمئنهم إلى الحكم الجديد^(٤٠)، ويعرفهم بحقيقة الدعوة السلفية، فكان هذا الاختيار موفقاً في شخص الشيخ عبدالله بن بليهد.

٣ - يضاف إلى ما سبق أن الملك عبدالعزيز اختار الشيخ ابن بليهد لرئاسة قضاء الحجاز بعد نجاحه في عمله في منطقة حائل والمناطق التابعة لها.

ويمكن تقسيم الأعمال التي قام بها الشيخ عبدالله بن بليهد خلال رئاسته قضاء الحجاز إلى ما يأتي:

١ - في مجال القضاء

منذ باشر الشيخ عبدالله بن بليهد عمله في رئاسة القضاء في مكة المكرمة شرع في تنظيم أعماله، وتعيين القضاة والكتاب، ووضع لائحة مؤقتة للمحاكم الشرعية، وذلك في شعبان ١٣٤٤هـ / فبراير ١٩٢٦م.

وهذا بيان بالوظائف وأسماء القائمين عليها في رئاسة القضاء: الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد رئيساً للقضاء، والشيخ محمد أمين فودة وكيلاً للرئيس، وأحمد بن إبراهيم الغزاوي رئيساً لكتاب ديوان رئاسة القضاء، والشيخ محمد بن علي التويجري كاتباً للفتوى، والشيخ بكر بن عبدالله كمال كاتباً ثانياً للفتوى، والسيد حسن داغستانى كاتباً لديوان رئاسة القضاء، والشيخ محمد بن سالم عجمي كاتباً ثانياً لديوان رئاسة القضاء، وثلاثة آخرين أحدهم مراسلاً، والثاني مستخدماً، والثالث بواباً^(٤١).

أما فيما يتعلق بمحكمة مكة المكرمة؛ فقد أصدر الشيخ عبدالله بن بليهد تنظيماً لها على النحو الآتي:

(٤٠) البسام، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٤٢.

(٤١) صحيفة أم القرى، العدد ٦٤، بتاريخ ٥/٩/١٣٤٤هـ، ص ٢.

الشيخ محمد المرزوقي قاضياً للمحكمة، والشيخ السيد عباس مالكي نائباً له، الشيخان أحمد بن ناصر شافعي وحسين عبد الغني نائيان آخران، والسيد مرزوقي كتبى رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية، ويعاونه في ذلك السيد إبراهيم زواوي، وولي الشيخ عرابي سجيني وكيلًا لبيت المال، هذا بالإضافة إلى عدد من كتاب الضبط والمحضرین والمستخدمین^(٤٢).

وأصدر الشيخ عبدالله بن بليهد لائحة مؤقتة للمحاكم الشرعية في الحجاز تتكون من خمس عشرة مادة وهي على النحو الآتي^(٤٣):

المادة الأولى: كل دعوى تقدم أولاً إلى الرئيس؛ ليجري عليها ما يلزم من تحويل وغيره.

المادة الثانية: يقييد في دائرة رئيس القضاة في دفتر خاص اسم المدعى والمدعى عليه، والمدعى به، وتاريخ قيد الدعوى ومتتهاها.

المادة الثالثة: يجري التفتيش اللازم من حضرة الرئيس والقاضي في كل شهر مرتين.

المادة الرابعة: الإفتاء فيما يرجع إلى المحاكمة ممنوع.

المادة الخامسة: تعقد جلسة كل يوم بعد العصر للنظر فيما تم في ذلك اليوم، وأعضاؤها الرئيس والقاضي والنواب.

المادة السادسة: يخصص لكل نائب محل، ومع كل نائب كاتب يكتب في دفتره ملخص الدعوى، والجواب تحت إمضاء المدعى عليه، وذلك بعد سماع الدعوى والجواب مشافهة، والسؤال عنه اختصاراً للعمل، وحذرًا من التطويل المؤدي إلى الخلل.

المادة السابعة: يلزم لكل نائب مستودع يضع فيه ما يلزم من أوراق وغيرها.

(٤٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

المادة الثامنة: تخصص غرفة لكاتب التعزيزات.

المادة التاسعة: يحضر معتمدات الكتب من المذاهب الأربع لمراجعة ما يلزم.

المادة العاشرة: مدة النظر في القضايا يومياً خمس ساعات، ثلاثة منها قبل الظهر، وشتان بعده^(٤٤).

المادة الحادية عشرة: ما دام الترافع بين المتخاصمين فلا يسوغ دخول غيرهما إلى مجلس الحكم إلا بإذن، ويكون دخول الخصوم إلى المحاكم بحسب الترتيب الأول فالأول، وتحب المساواة بين الخصميين في الدخول والجلوس واللفظ واللحظ.

المادة الثانية عشرة: يوقف العمل قبل أذني الظهر والعصر بعشر دقائق؛ ليتهيأ لأداء الصلاة جميع موظفي المحكمة مع الإمام الأول.

المادة الثالثة عشرة: تعيين مستودعات كافية يوضع فيها ما هو تحت نظرية مأمور بيت المال.

المادة الرابعة عشرة: حال انتهاء المراقبة، وصدور الحكم يعجل الكاتب المباشر لتلك المعاملة بإخراج الصك بها، وعرضه على مرجعه بأسرع مدة لإتمام معاملته، ولا تسلم الصكوك لأربابها إلا أمام القاضي أو نوابه.

المادة الخامسة عشرة: حيث إن الحكومة قد أعلنت من الرشوة، وعقاب الراشين والمرتدين، فكل من ينسب إلى أحد الموظفين شيئاً من ذلك افتراء يعاقب عليه عقاباً صارماً؛ حتى يسد بذلك باب التهم على الموظفين^(٤٥).

وفي رسالة وجهها الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالله بن بليهد مؤرخة في ١٢ شوال ١٣٤٤هـ ردًا على رسالة بعثها الأخير مع أخيه حمد إلى الملك عبدالعزيز أشى فيها على الجهود التي قام بها الشيخ

(٤٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

في عمله، وأبدى موافقته على التنظيمات القضائية والتعيينات، فقال: "... ومن قبل ورقة تشكيلات المحكمة الشرعية صدقنا عليها، وهذا هي [هكذا] واصلتكم كذلك ورقة تعيين نائب الحرمين الشريفين أيضاً صدقنا عليها وهي واصلتكم بطيءه..."^(٤٦).

وعلى أي حال فإن هذه التنظيمات واللوائح التي أصدرها الشيخ عبدالله بن بليهد أصبحت فيما بعد أساساً مهماً قامت عليه الأنظمة القضائية في المملكة العربية السعودية.

٢ - جهوده في تنظيم شؤون الحرمين

تؤكد الوثائق على أن الشيخ عبدالله بن بليهد أصبح هو المسؤول الأول عن شؤون الحرمين في تلك الفترة التي تولى فيها قضاء الحجاز؛ غير أنه لم يتول الإمامة فيهما.

وقد أسهم في تنظيم الشؤون العلمية والإدارية للحرمين، ثم صدر الأمر الملكي بتشكيل هيئة علمية للإشراف على الدروس التي تعقد في الحرمين الشريفين، وانتقاء الكتب التي تدرس، وتعيين المدرسين الأكفاء، وقد نص الأمر الملكي على ما يأتي^(٤٧):

- ١ - تألف لجنة علمية برئاسة سماحة الشيخ عبدالله بن بليهد، وعضوية فضيلة مدير المعارف العمومية الشيخ محمد كامل القصاب، ومدير المعهد الإسلامي السعودي الشيخ بهجت البيطار، ومدير معهد الفلاح الشيخ عبدالله حمدوه السناري، ونائب رئيس القضاة الشيخ أمين فودة.
- ٢ - تكون وظيفة هذه الهيئة الإشراف على سير الدروس في الحرمين الشريفين؛ وانتقاء الكتب النافعة، وتعيين الأساتذة المشهود لهم

(٤٦) وثيقة رقم (٢) مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة في ١٢ شوال ١٣٤٤ من ورقة واحدة.

(٤٧) صحيفة أم القرى، العدد ٩٧، بتاريخ ١٥/٤/١٣٤٥هـ، ص ١.

- بالكفاءة وحسن السيرة، والسير على طريقة السلف الصالح.
- ٣ - تجتمع هذه الهيئة كل خمسة عشر يوماً مرة واحدة، وتجتمع أيضاً كلما اقتضت الحاجة ذلك.
 - ٤ - للهيئة العلمية تغيير مادة من هذه المواد أو تقديمها أو الزيادة عليها بعد تصديق الملك عليها.

والظاهر أن الشيخ عبدالله بن بليهد أسهم في إعداد نظام التدريس العام في المسجد الحرام، إذ يلاحظ أنه ركز على نشر العقيدة السلفية الصحيحة، وتقرر فيه تدريس فقه المذاهب الأربعة والعلوم العربية في الصباح والمساء، إضافة إلى عقد دروس في التوحيد والتفسير والحديث، والوعظ بين صلاتي المغرب والعشاء^(٤٨).

وقد أكد هذا النظام على المدرسين بأن يبدؤوا دروسهم بتقرير العقائد ومباحث الصفات، ومذهب السلف الذي أجمع عليه أئمة أهل السنة على أنه أسلم المذاهب وأحرارها بالقبول، كما طلب من المدرسين أن يبينوا للناس أثناء دروسهم أنواع البدع والخرافات التي أضرت بال المسلمين، وشوهرت تعاليم دينهم، كما حدد النظام مدة الدرس ساعة على الأقل، وأكد أن عليهم عدم الانقطاع عن الدرس، ولا يجوز لأحدthem أن يتخلّف إلا بعد شرعاً، وأن من يخل بشيء من هذه المواد فللهمّة أن تقرر في شأنه ما تراه^(٤٩).

وبما أن الشيخ عبدالله بن بليهد أصبح هو المسؤول عن تنظيم شؤون الحرمين، وبما أن المسعى كان في تلك الفترة منفصلاً عن الحرم المكي والدكاكين تحيط به من كل جانب، إضافة إلى وجود الكلاب الضالة التي تؤذى الساعين، فقد سُئل عن وضعه؛ فأوضح

(٤٨) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤٩) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

الشيخ أن المسعى في الأصل كان عرضه واسعاً، ولكن الناس بدؤوا يفتشون أرضه شيئاً فشيئاً حتى ضاق، وصار عرضه بهذا المقدار الموجود، وأكد على وجوب إزالة هذا الاغتصاب، وهدم الدكاكين المحيطة به، ومنع دخول الكلاب فيه حتى يصبح خاصاً بالسعي، وبين أنه بقصد عرض هذا الموضوع على المؤتمر الإسلامي^(٥٠).

وفيما يتعلق بنوم الحجاج في المسجد الحرام وما يجلبونه معهم إليه من مأكولات قد تكون متعفنة، قال الشيخ: "إن الواجب منع اتخاذ الحرم محلاً لتناول الطعام، أما النوم فإننا لا نمنعه إلا إذا ترتب عليه مفسدة"، ولما قال حافظ وهبة للشيخ: إن نوم الحجاج في موسم الحج بالحرم ترتب عليه ضرر، قال الشيخ: "إذن يمكن منع النوم في أثناء موسم الحج دفعاً للضرر المترتب عليه"^(٥١).

وكان للشيخ عبدالله بن بليهد دروس منتظمة بالمسجد الحرام عند باب السلام، يحضر إليه - إضافة إلى طلاب العلم وال العامة - بعض رجالات الدولة، درس فيها فنون العلم المختلفة. وفي موسم الحج يلتقي - عادة - علماء العالم الإسلامي يتشاور معهم في بعض المسائل العلمية^(٥٢).

وخلال زيارات الشيخ عبدالله إلى المدينة النبوية في فترة رئاسته للقضاء في الحجاز كان يعقد دروساً علمية في المسجد النبوي، ويلتقي هناك عامة الناس، ويجيب على أسئلتهم، ويحاورهم في بعض القضايا المعاصرة لتلك الفترة^(٥٣).

(٥٠) المصدر نفسه، العدد ٨٩، بتاريخ ١٤٥٢/١٨، ص٤.

(٥١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٥٢) أبو سليمان، عبدالوهاب بن إبراهيم، باب السلام في المسجد الحرام ودور مكتباته في النهضة العلمية والأدبية الحديثة، ط١، د.ن، د.م، د.ت، ص ١٩٨.

(٥٣) أسد، محمد، الطريق إلى الإسلام، ترجمة عفيف البعلبي، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص ٣٠٧.

٣ - أعماله في الدعوة والإصلاح

بعد أن ضم الملك عبدالعزيز الحجاز كان فيها بعض القبور التي يعظمها بعض جهلاء الناس، لا سيما في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ففي البقيع قبور لكتاب الصحابة والتبعين كال الخليفة عثمان بن عفان، والعباس عم النبي ﷺ، وقبور أمهات المؤمنين، وصحابة آخرين رضوان الله عليهم، إضافة إلى أئمة آل البيت، كالحسن بن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي بن الحسين، وجعفر بن محمد وغيرهم، وقد صنع بعض الجهال لقبور هؤلاء الأربعه أضرحة كبيرة تشبه الأضرحة الموجودة في بعض البلاد الإسلامية، واعتاد الجهال أن يزوروا هذه الأضرحة؛ فيقبلونها، ويتركون بها، ويصلون عندها على نحو ما كانوا يفعلونه عند الأضرحة الموجودة في بلادهم^(٥٤)، هذا إضافة إلى ما يفعله بعض المبتدعة من أمور تخالف مبادئ الإسلام.

وبعد دخول الملك عبدالعزيز الحجاز ظلت هذه القباب على حالها ما يقارب أربعة أشهر إلى أن بدأ التذمر واضحاً لدى الإخوان من بقائها على هذا النحو^(٥٥)، ولعل الملك عبدالعزيز أراد في البداية عدم الاستعجال في إزالتها رغبة في تأليف قلوب من يقصدها بالتعظيم، حتى تستقر العقيدة الصحيحة في نفوسهم أولاً، ثم يتم بعد ذلك هدمها، خشية من أن الأمر قد يأتي بنتيجة عكسية، وهذه في الواقع سياسة حكيمة تعتمد على القاعدة الأصولية: "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح".

ولهذا قرر الملك عبدالعزيز هدم هذه القباب، فأناط هذه المهمة بالشيخ عبدالله بن بليهد، وفي السابع عشر من رمضان ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م بعث الملك عبدالعزيز رسالة إلى الشيخ

(٥٤) الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. ط. د. ن، بغداد، ١٩٧٦م، ج٦، ص٣٠٥.

(٥٥) المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

عبدالله بن بليهد يأمره فيها بالعمل على هدم القباب التي على القبور، ومساواتها بالأرض فقال له بعد السلام^(٥٦): "كذلك سلمك الله تحرصون إن شاء الله على مسألة [مسألة] هدم القباب جميع قبة تهدم حتى توasa [تساوي] بالأرض ومن تعيّدون وأنتم مباشرين بذلك وأنت محل الروح ولا تحتاجون توصية بذلك فقط أدام الله وجودكم تحرصون لا يترك شيء من ها لقباب كلها تهدم مرة واحدة لا بعد يصير لنا فيها عوادة رأس [أي رأي آخر] خلوا أمرها يصير واحد...".^(٥٧)

ومهما يكن الأمر فقد كانت مهمة الشيخ عبدالله ليست سهلة، فبعض العامة والمبتدعة ألفوا زيارة تلك القباب والأضرحة، وشاهدوا بعض الوفود من خارج شبه الجزيرة العربية يأتون لزياراتها وتعظيمها، ويقومون بالتسلل بأصحابها لقضاء حاجاتهم وتقرير كرباتهم، ويدعونهم بدعاً لا يجوز صرفه إلا لله عز وجل.

وبناءً على ذلك اتخذ الشيخ أسلوباً حكيماً في القضايا عليها، فاتخذ من المحاورة منهجاً له، خاصة مع علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ حتى يكونوا على بينة من الأمر، فإن لم يكونوا معه فلا يعارضونه على الأقل في إزالة تلك القباب، فأراد الشيخ عبدالله أن يزيل هذه المخالفات من العقول قبل أن يزيلها بوصفها أبنية موجودة على القبور.

وفي الاجتماع الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٩٢٥هـ / ١٣٤٤م بين العلماء ألقى الشيخ عبدالله بن بليهد بصفته أحد العلماء، ورئيس القضاة في الحجاز كلمة مطولة بين فيها أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة، وأقسام التوحيد، ومنهج أهل السنة والجماعة في الأسماء

(٥٦) هذه الرسالة أورتها بأسلوبها الذي كتبت به.

(٥٧) وثيقة رقم (٢) مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة في ١٧ رمضان ١٣٤٤هـ، من ورقة واحدة.

والصفات، وأكد أن دعاء الأموات وطلب الشفاعة منهم شرك^(٥٨)، وأن الله جل وعلا هو الذي يملك الشفاعة، ولذا يجب ألا تطلب إلا منه سبحانه كأن يقال: اللهم لا تحرمنا شفاعة نبيك أو شفعه فينا أو نحو ذلك^(٥٩).

وتناول الشيخ في خطابه ذلك البناء على القبور وتعظيمها، وإيقاد السرج عليها، وعبادة الله عندها بالصلاحة وغيرها، فذكر أن ذلك محرّم لما ورد عن النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، إضافة إلى حديث علي رضي الله عنه أنه ﷺ بعثه لهدم القبور المشرفة، وقال: "لا تدع تمثلاً إلا طمسه، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته"، ثم بين الشيخ أنواع زيارة القبور، وأرجع الشيخ أسباب وجود هذه المخالفات العقدية إلى غلبة الجهل وخفاء العلم وبعد العهد بإرشاد النبوة (٦٠).

وكتب الشيخ عبدالله بن بليهد رسالة إلى العلماء وال العامة نشرتها
صحيفة أم القرى^(٦١) دعا فيها العلماء إلى تببيه الفا fal، وإرشاد
الجالـلـ، وأن يـبـيـنـوا لـلـنـاسـ ما عـلـمـهـمـ اللهـ، وـطـلـبـ منـ الـمـسـلـمـينـ أنـ
يـرـجـعـواـ إـلـىـ ماـ كـانـ عـلـيـهـ سـلـفـ هـذـهـ الـأـمـةـ وـقـادـتـهـاـ وـأـئـمـتـهـاـ فـيـ الدـيـنـ
وـالـاعـقـادـ وـالـعـمـلـ وـالـسـيـرـةـ؛ لـتـصـلـحـ الـأـمـورـ فـيـ الـعـاجـلـ وـالـآـجـلـ، وـلـيـكـونـ
الـنـاسـ عـبـيـدـ اللـهـ حـقـيقـةـ لـاـ عـبـيـدـ أـهـوـاءـ وـأـغـرـاضـ، وـأـكـدـ تـحـرـيمـ الـبـنـاءـ
عـلـىـ الـقـبـورـ، وـاتـخـاذـهـ مـسـاجـدـ، ثـمـ طـرـقـ الشـيـخـ إـلـىـ الـخـلـافـ فـيـ
الـفـروعـ، وـفـيـ الـمـسـائـلـ الـتـيـ تـقـبـلـ الـاجـتـهـادـ، فـأـكـدـ أـنـ الـخـلـافـ فـيـ مـثـلـ
هـذـهـ الـمـسـائـلـ مـوـجـودـ، وـأـنـ نـاـشـيـ عنـ اـجـتـهـادـ الـمـجـتـهـدـينـ فـيـ أـدـلـةـ الـشـرـعـ

(٥٨) صحيفه أم القرى، عدد ٣٩، بتاريخ ٧ / ٣ / ١٣٤٤هـ، ص ٤.

(٥٩) صحيفة أم القرى، عدد ٤٠ بتاريخ ١٤/٣/١٣٤٤هـ، ص ٤.

(٦٠) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٦١) في أعدادها ٥٧، ٥٨، ١٣٤٤ رجب ١٤٢٥هـ.

حسب ما أدى إليه اجتهادهم، وأن ذلك لا يوجب تفريقاً ولا اختلافاً، لا سيما إذا كانت الأصول واحدة، ثم دعا رجال الإصلاح في هذه الأمة إلى أن يشاطروه في الدعوة إلى الله، ويعيدوا لهذه الأمة سيرتها الأولى، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها^(٦٢).

وفي الثلث الأول من شهر رمضان من عام ١٤٤٤هـ / ١٩٢٦م سافر الشيخ عبدالله بن بليهد إلى المدينة النبوية لزيارة المسجد النبوي، والنظر في بعض المسائل الدينية والقضائية هناك^(٦٣).

وفور وصوله إلى المدينة اجتمع الشيخ بعلمائها، وتباحث معهم في أمور كثيرة، ثم وجه إليهم بعض الأسئلة المكتوبة والتي جاء فيها: "ما قول علماء المدينة المنورة زادهم الله فهماً وعلماً في البناء على القبور واتخاذها مساجد هل هو جائز أم لا؟، وإذا كان غير جائز بل من نوع منهي عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟ وإذا كان البناء في مسبلة كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليه، فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم من استحقاقهم أم لا؟ وما يفعل عند حجرة النبي ﷺ من التمسح بها ودعائها مع الله، والتقرب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السرج عليها، هل هو جائز أم لا؟ وما يفعل عند حجرة النبي ﷺ من التوجه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها، وتقبيلها، والتمسح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد الشريف من الترحيم، والتذكير بين الأذان والإقامة، وقبل الفجر ويوم الجمعة هل هو مشروع أم لا؟ أفتونا مأجورين، وبينوا لنا الأدلة المستند إليها لا زلت ملجاً للمستفیدين؟"^(٦٤)، ومن هنا يتبيّن أن الشيخ حصر المسائل التي يرى

(٦٢) وثيقة رقم (٤) مصورة من دارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق، محفوظة برقم ٧٥ غير مؤرخة من ٧ ورقات.

(٦٣) صحيفة أم القرى، العدد ٦٥، بتاريخ ١٢/٩/١٤٤٤هـ، ص ٣٠.

(٦٤) صحيفة أم القرى، عدد ٦٩، بتاريخ ١٧/١٠/١٤٤٤هـ، ص ١.

عدم مشروعيتها بل تحريمها، والتي كانت موجودة في المدينة النبوية آنذاك، ليعرف هل هي تحظى بتأييد أو رضا علماء المدينة؟ ليكون موقفه منها مبنياً على فهم دقيق للواقع، وهذه سياسة حكيمة منه، خفت إلى حد بعيد ردود الفعل المتوقعة تجاه إزالة تلك المخالفات.

وأراد الشيخ ألا يشرع بإزالة تلك المخالفات إلا بعد أن يعرف موقف علماء المدينة منها، ذلك أنهما إذا وافقوا على أنها مخالفات يجب إزالتها كان ذلك مما يسهل مهمته، ولتحظى تلك المهمة برضا العامة أو على الأقل عدم معارضتها.

وعلى أي حال فقد أقر علماء المدينة في جوابهم على هذه الأسئلة بأن ما ذكر مخالف لما جاء في الكتاب والسنة، وما عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، فقالوا: "أما البناء على القبور فهو منمنع إجماعاً لصحة الأحاديث الواردة في منعه؛ ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستتدلين على ذلك بحديث علي رضي الله عنه أنه قال لأبي الهياج: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثلاً إلا طمسه، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته"، رواه مسلم. وأما اتخاذ القبور مساجد والصلاوة فيها فممنوع مطلقاً، وإيقاد السرج عليها منمنع أيضاً لحديث ابن عباس: "عن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج" رواه أهل السنن، وأما ما يفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها، والتقرب لها بالذبح، والنذر، ودعاء أهلها مع الله فهو حرام منمنع شرعاً لا يجوز فعله أصلاً، وأما التوجه إلى حجرة النبي ﷺ عند الدعاء فال الأولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذهب، ولأن أفضل الجهات جهة القبلة، وأما الطواف بها، والتمسح بها، وتقبيلها فهو منمنع مطلقاً، وأما ما يفعل من التذكير، والترحيم، والتسليم في الأوقات المذكورة فهو

محدث، هذا ما وصل إليه فهمنا السقيم، وفوق كل ذي علم عليم ٢٥ رمضان سنة ١٣٤٤هـ^(٦٥). ويبدو أن هذه الأسئلة وإجاباتها نشرت بين سكان المدينة النبوية، كما نشرتها صحيفة أم القرى، وبذلك أصبح الوقت مناسباً لإزالة تلك المخالفات؛ فتم ذلك في يوم ٨ شوال من عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م.

وقد لقيت جهود الشيخ عبدالله بن بليهد تأييداً كاملاً من الملك عبدالعزيز فقال في رسالة إلى الشيخ مؤرخة في ١٢ شوال ١٣٤٤هـ: "... أمس جانا تيل [برقية] من إبراهيم السالم مضمونه أنكم باشرتم العمل بهدم القباب، وأن العمل جاري في ذلك لابد إنشاء الله تم العمل ولا بقيتو شيء [أي أبقيتم]. والإفادة قادمة منكم لنا بذلك الله يجعل أعمالنا وأعمالكم خالصة لوجهه الكريم..."^(٦٦)، وتؤكد هذه الرسالة حرص الملك عبدالعزيز على إزالة تلك القباب والمخالفات، ومتابعة جهود الشيخ عبدالله بن بليهد في القضاء عليها.

إلا أنه في الوقت نفسه كانت هناك ردود فعل معارضة لتلك الجهود عبر عنها الشيخ عبدالله بن بليهد بقوله: "كنت لما قدمت المدينة المنورة في رمضان سنة ١٣٤٤هـ وجهت إلى علمائها سؤالاً تضمن مسائل... فكتبوا جواباً مطابقاً للسؤال جار على الأصول الشرعية والقوانين المرعية من ذكر الحكم بدلبله، فلما ظهر العمل بموجبه قام ناس لذلك وقعدوا وضجوا وعجوا، وصالوا وقالوا وحرروا بذلك مقالات..."^(٦٧)، ثم ذكر الشيخ عدداً منهم، وأشار إلى أن ما كتبوه غير معتمد على دليل من كتاب ولا سنة، ولا مستند إلى مذهب إمام متبوع.

(٦٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها: علي الوردي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٦٦) وثيقة رقم (٥)، مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة في عام ١٣٤٤هـ، من ورقة واحدة.

(٦٧) صحيفة أم القرى، عدد ١٠٤، بتاريخ ٤/٦/١٣٤٥هـ، ص ١.

والواقع أن هذه المعارضة لتلك الجهود التي قام بها الشيخ عبدالله بن بليهد لم تكن تستند على أساس علمية معروفة، بل كانت دافع هذه المعارضة سياسية اتخذت من الدين ستاراً لها.

وفي لقاء صحي في الأستاذ أمين بك الرافاعي نشرته جريدة السياسة دافع الشيخ عبدالله بن بليهد عن عقيدة أتباع الدعوة الإصلاحية، وذكر أن السلفيين على المذهب الحنفي، فهم سلفيون في المعتقد حنابلة في المذهب؛ وفند تسميتهم بالوهابية، وذكر أنها من عمل خصومهم الذين أرادوا تغيير الناس منهم؛ بإيهامهم أن هذا مذهب جديد يخالف المذاهب الأربعة، وأشار إلى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحد علماء نجد الذين اتصلوا بال سعود فصار له قبول عندهم، وأكد أن مذهب السلفيين فيما يتعلق بالصفات هو مذهب أهل السنة والجماعة، فاستواء الله على العرش مثلاً لا نؤوله بأنه الاستيلاء أو القهر كما يرى البعض، وإنما نسلم به كما هو؛ عاملين بمذهب الأئمة الذي لخصه الإمام مالك بقوله: "الاستواء معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، فالكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات وهذا ممنوع. وفيما يتعلق بالتوحيد العملي بين الشيخ عبدالله بن بليهد أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن العبادة حق لله تعالى دون سواه؛ فلا يجوز صرف شيء منها لغيره كائناً من كان، لا ملك، ولانبي، ولاولي، ولا لغيرهم، فمن سوّى بين الله تعالى وأحد المخلوقين في أي نوع من أنواع العبادات كان عمله شركاً^(٦٨).

وفيما يتعلق بالتسلل بالأئباء والأولياء أوضح الشيخ عبدالله بن بليهد أن الذي يتسلل مبتدع وليس مشركاً، وأهل السنة والجماعة يمنعون ذلك ويعدوه منكراً، أما الوسيلة بالعبادات، وهل تصل إلى الميت فيقول الشيخ: إن هناك خلافاً بين العلماء؛ لأن العبادات ثلاثة

^(٦٨) صحيفة أم القرى، العدد ٨٨، بتاريخ ٢١٤٥/٢ هـ ص. ٣.

أنواع: بدنية، مالية، ومركبة منها، فالعبدات البدنية كالصلوة والتلاوة والذكر والدعاء، يرى بعض العلماء أن ثوابها لا يصل إلى الميت، بينما يرى العلماء السلفيون - كما يقول الشيخ عبدالله - أنها تصل إلى الميت عملاً بقول بعض فقهاء الحنابلة: "كل قربة فعلها العبد، وأهدى ثوابها إلى الميت تصل إليه"، أما التلاوة والذكر والدعاء إضافة إلى العبدات المالية كالصدقة والعبدات المركبة منها كالحج فإنها تصل^(٦٩).

وانتقل بعد ذلك الأستاذ أمين الرافعي إلى سؤال الشيخ عبدالله بن بليه عن مسألة ذات حساسية لدى بعض المسلمين، وهي زيارة القبور، فقسم الشيخ زيارة القبور إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: زيارة شرعية، وهي التي يقصد من ورائها تذكر الآخرة والإحسان إلى الميت بالدعاء له، كما أن فيها إحساناً إلى الزائر نفسه، وهي سنة.

ثانياً: الزيارة البدعية، وهي التي تقصد منها عبادة الله عند القبور بالصلوة ونحوها، بحيث يعتقد أن للعبادة عندها مزية على العبادة في المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله.

ثالثاً: الزيارة الشركية، وهي التي يقصد منها دعاء الموتى لقضاء الحاجات وتفریج الكربات^(٧٠).

وسئل الشيخ بعد ذلك عن رأيه في بناء القبور والبناء عليها، فذكر أن بناء القبور نفسها لا يجوز فيها أكثر من شبر، واختلف العلماء أن يكون مسطحاً أو مسمناً، وبين أنه لا يجوز تجصيصها ولا الكتابة عليها، وإنما يجوز وضع حجر عليها لتمييزها، وأما البناء على القبور فإنه ممنوع؛ لأن النبي ﷺ نهى عنه، وأكد على أنه لا تجوز الصلاة في مسجد أقيم على قبر^(٧١).

(٦٩) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٧٠) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٧١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

ومهما يكن الأمر فقد نجح الشيخ عبدالله بن بليهد في إقناع المؤيدين لوجود مثل هذه القباب والمساجد من خلال طرحة لعدد من الشواهد والسلمات التي لا يخالف فيها أحد من أهل السنة والجماعة، وتأكيده على أن هذه الأمور من المحدثات في الدين والتي لم تظهر إلا في القرون المتأخرة، وهو مع ذلك لم يفرض هذه القناعات والسلمات، وإنما سأله عنها سؤال العالم الداعي إلى التفكير والتأمل، وإعادة قراءة النصوص الشرعية، والنظر في هذه المخالفات، وإرجاعها إلى الأدلة، واستنباط الأحكام من جديد، وهذا ما نجح فيه الشيخ نجاحاً باهراً.

والواقع أن جهود الشيخ عبدالله بن بليهد في الدعوة إلى الله والإفتاء لم تكن مقتصرة على الحجاز أو شبه الجزيرة العربية فقط، بل كانت تأتيه أسئلة من الخارج، من ذلك ما ورد من بيروت وهو سؤال خاص بحجاب المرأة، وهو موضوع كان مثار جدل كبير في مصر في تلك الفترة، ونص السؤال: ما رأيكم في رفع الحجاب، وكشف المرأة وجهها وكفيها في الطرقات والمجتمعات العامة؟ فأجاب بقوله: "إن ذلك ممنوع خشية الفتنة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زَوْجَكَ وَبَنَاتَكَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفَنَ فَلَا يُؤْذِنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] ، ول الحديث عائشة قالت: "كان الركبان يمرؤن بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذونا سدلّت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها"، وإذا كان هذا في حالة الإحرام ففي غيرها أولى" (٧٢)، وتدل هذه الإجابة على عمق علم الشيخ، وعلى انتشار صيته في العالم الإسلامي، وعلى الثقل الذي كانت تمثله مكة المكرمة في تلك الفترة.

(٧٢) صحيفة أم القرى، العدد ٨٩، بتاريخ ١٨/٢/١٣٤٥هـ، ص ٤.

٤ - مشاركته في مؤتمر العالم الإسلامي الأول المنعقد في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م

بعد أن دخل الملك عبدالعزيز مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، وخلال حصاره لجدة أرسل إلى قادة العالم الإسلامي، وزعماء الجمعيات والمنظمات الإسلامية رسائل يدعوهن إليها إلى إرسال مندوبي عنهم؛ وكان ذلك في ١١ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ، أواخر أكتوبر ١٩٢٥م، ومضى شهراً على توجيه الدعوة، ولم يتلق الملك عبدالعزيز جواباً عليها من أحد إلا جمعية الخلافة في الهند^(٧٣).

وبعد أشهر قليلة قرر الملك عبدالعزيز عقد المؤتمر الإسلامي الأول في مكة المكرمة شريطةً ألا يتعرض المؤتمر إلى مسائل لا طائل من وراء بحثها، وبناءً على ذلك أرسلت الدعوات إلى الحكومات والجمعيات الإسلامية، وحدد يوم ٢٠ من ذي القعدة من عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م موعداً لبدء المؤتمر^(٧٤).

وقد استجاب للدعوة ممثلون من مختلف الأقطار الإسلامية ما عدا دولتين، كما قدم وفد جمعية الخلافة الإسلامية في الهند برئاسة الأخوان محمد علي وشوكت علي، إضافةً إلى ضياء الدين فريد؛ لتمثيل مسلمي الاتحاد السوفيتي، وقد مثل الملك عبدالعزيز في هذا المؤتمر الشيخ عبدالله بن بليهد بصفته رئيس الوفد السعودي^(٧٥)، إضافةً إلى حافظ وهبة، ويوسف ياسين، وعبدالله الدملوجي، وحمد الخطيب^(٧٦).

(٧٣) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج ٢، ص ٦٦١-٦٦٢.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

(٧٥) وثيقة رقم (٦) من وثائق المؤتمر الإسلامي العام، مختومة ومؤرخة في ٢٥ ذي القعدة عام ١٣٤٤هـ من ورقة واحدة.

(٧٦) قن، محمد علي، صحيفية موجزة بأعمال مؤتمر العالم الإسلامي الأول بمكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ، د. ط، مطبعة نهضة الشرق، الإسكندرية، صفر ١٣٤٥هـ، ص ٤٢؛ علي الوردي، مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٣٤.

وافتتح الملك عبدالعزيز المؤتمر بكلمة ضافية في يوم الاثنين ٢٦ ذي القعدة عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، وعقد المؤتمر عشرين اجتماعاً عقد خلالها ثمان عشرة جلسة منذ افتتاحه حتى اختتامه في يوم الاثنين ٢٤ ذي الحجة عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م^(٧٧).

وخلال المؤتمر منح الملك عبدالعزيز الحرية المطلقة في المداولات إلا ما يتعلق بالسياسة الدولية، والخلافات بين الشعوب الإسلامية، ولكن بعض أعضاء المؤتمر لم يصغ إلى رأيي المؤتمر، وحاولوا إثارة قضايا سياسية لم تكن هناك حاجة إلى بحثها في تلك الفترة^(٧٨)، خاصة وأن أمرها قد حُسم، ويبدو ذلك جلياً مما قام به محمد علي وأخوه شوكت على رئيس جمعية الخلافة في الهند الذين أصرروا على مناقشة أمور لا طائل من مناقشتها^(٧٩).

وعلى أي حال فقد تحامل أعضاء جمعية الخلافة في الهند على الملك عبدالعزيز، وذلك على لسان محمد علي وأخوه شوكت، وبعد ذلك تكلم الشيخ عبدالله بن بليهد بكلام بلينج بأسلوب لطيف مقنع رد فيه على هذه الدعاوى، وأبطل الحجج، وبين الحق؛ الأمر الذي جعل الوفود وكذلك الملك عبدالعزيز يشكرونها على ذلك^(٨٠).

وقد نجح الشيخ في تمثيل الملك عبدالعزيز في هذا المؤتمر نجاحاً باهراً، وأصبح للشيخ علاقات متينة مع بعض من حضر هذا المؤتمر، فأصبح يتبادل معهم الرسائل^(٨١). وهذا يدل على أن الشيخ جمع بين

(٧٧) محمد علي قس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

(٧٨) وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م، ص ٢٦١.

(٧٩) علي الوردي، مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٣١٨.

(٨٠) البسام، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ١٤٢.

(٨١) وثيقة رقم (٧) وهي رسالة من السيد محمد الغنيمي التقتازاني، شيخ السادة الغنيمية بالقاهرة، إلى الشيخ عبدالله بن بليهد، وهي مؤرخة في ٧ رمضان ١٣٥٤هـ ٢ ديسمبر ١٩٣٥م، نقل جزءاً منها لبيان قدر الشيخ عبدالله بن بليهد،

العلم والدهاء واللباقة ولين الجانب. والذي يظهر أن دراسة الشيخ في الهند خلال سفره للعلاج هناك أكسبته مرونة في التعامل مع مختلف الفئات دون تفريط في الأصول والمعتقدات، بل وربما كانت هذه المرونة سبباً من أسباب نجاحه في الدعوة إلى الله، وفي القيام بالمهام الموكلة إليه.

سادساً : جهود الشيخ عبدالله بن بليهد في توعية الإخوان

تبين المصادر التي استطعنا الحصول عليها أن للشيخ عبدالله بن بليهد جهوداً واضحة في نصح وتوجيهه الбادية عامة والإخوان بشكل خاص، لا سيما بعد أن رأى من بعضهم الشدة والغلظة في الإنكار باليد. كما أن الملك عبدالعزيز أخذ يستعين برأيه في التعامل معهم، منذ أن ظهرت منهم بوادر الشقاق.

والواقع أن الإخوان في بداية أمرهم كانوا قوة لا يستهان بها، وأسهموا بدرجة كبيرة في توحيد المناطق تحت راية الملك عبدالعزيز، إلا أن هؤلاء بدؤوا في النظر إلى الحاضرة وإلى من لم يستوطن الهجر من البدائية نظرة غلو وشدة، ومن مظاهر ذلك الغلو إيقاف الناس ومساءلتهم عن أصول الدين وأحكامه، بل إن بعض غلاتهم

= يقول السيد محمد الغنيمي: "شهاد الله أن صورتكم لم تبرح مخيالي، وإنني مدمن ذكركم والتحدث عنكم في كل زمان ومكان، ووالله ليس في ذلك علو ولا سرف، وإنما هي الحقيقة أقررها أحد من أحب وكره من كره إنك الفرد الذي أنسنت بلقائه بين رجال العلم في تلك الديار، وقد رأيتمهم جميعاً وخبرتهم جميعاً، والله إنك من أكابر علماء المسلمين في العالم أجمع، ولو أنك أردت معرفة قدرك بين رجالات العلم في الدنيا، لاتصلت بعلماء أوروبا الذين يعرفون أقدار الرجال، وإنني مؤمن [هكذا] أصحبك إلى أوروبا، وأن أدنىك من جامعاتها ورجالاتها، لأنني سأصبح رجلاً أمده الله بالعرفان النافع بكل وسط، أنا والله يا مولانا قليل الشاء، أمقت المغالاة، وأكره الإسراف، ولكنني والله لا أكاد أملك لسانني أو قلمي أو قلبي إن تحدثت عن [ابن بليهد] يتيمة الدهر وأعجوبة العصر، وبعد اغتنتم هذه الفرصة لأقيم خالص تهنئتي بشهر الصيام... والتحية الخالصة من أعماق قوادي إلى الإخوان... وسائل آل الشيخ ابن بليهد أحاطهم الله جميعاً بسياج حفظه في ظلكم الوارف...".

راحوا يشكون في إيمان غيرهم من الحاضرة والبادية، فحرموا ذبائحهم، وأباحوا الاعتداء عليهم. وقد تبه الملك عبدالعزيز إلى خطورة هذا الفكر، وما قد يتربّط عليه من عواقب وخيمة، فاستفتى العلماء، وأفتوه بأن ذلك الفكر وتلك النظرة لا تتفق مع أصول الدين، وكان ذلك في عام ١٤٣٧هـ / ١٩١٤م^(٨٢). وقد أصدر هؤلاء العلماء منشوراً يتضمن نصحاً للإخوان بالاعتدال في نظرتهم للناس^(٨٣). والذي يبدو أن الشيخ عبدالله بن بليهد قد شارك في هذا الاجتماع.

ومن المؤكد أن الملك عبدالعزيز قد اعتمد - بعد الله - على الشيخ عبدالله بن بليهد في أن يسهم - مع غيره من المسؤولين - في النصح والدعوة في منطقة حائل وما يتبعها من مناطق، في وقت تشهد فيه منطقة نجد بشكل عام نشاطاً واضحاً من بعض الإخوان في تفزيذ ما يعتقدونه واجباً، خاصة ما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستعمالهم القوة لتنفيذ ذلك، يضاف إلى ذلك استنكارهم إدخال المخترعات الحديثة واستعمالها، وهذا ما دعا الشيخ عبدالله بن بليهد إلى أن يكتب نصيحة إلى الإخوان باسمه وباسم أمير حائل عبدالعزيز بن مساعد بن جلوى، وذلك في وقت مبكر من تواليهما أعمالهما في تلك المنطقة، وفي رسالة منها مؤرخة في عام ١٤٤٢هـ / ١٩٢٢م قالا فيها بعد البسمة: "تفهمون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى من واجبات الدين، وأنه لا يستقيم إلا بذلك قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ، فأمر سبحانه أن تكون أمة من الناس منتصبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى، فيدخل في ذلك نصب الإمام الذي تجب طاعته على عموم الناس، وبذلك يجب عليه نصب القضاة

(٨٢) العثميين، مرجع سبق ذكره، ج ٢، ص ٢١١-٢١٢.

(٨٣) الوردي، مرجع سبق ذكره، ج ٦، ص ٣٢١.

والمفتين والمدرسين والدعاة إلى الله والأمراء والنواب؛ لتنفيذ الأوامر على ما توجبه الشريعة، والقائم بذلك يلزمته التقيد بأمر الشرع بحيث أنه يكون [هكذا] أمره ونهيه على علم، ويكون ذلك برفق ولبن علم وحلم، وأما إثبات الحقوق وإقامتها فهذا يختص به الحاكم الشرعي، وينفذه الأمير بأمره، وليس لغيره مدخل فيه"، وذكرا في رسالتهم أن القضايا التي تحتاج إلى تأديب مما هو دون الحدود المقدرة شرعاً، فالذي يقوم بتأدبيه الأمير أو النائب بحسب الحال والمصلحة، بالتهديد أو الضرب الذي لا يبلغ به أدنى الحدود، إلا إذا كان متمراً، ويحتاج إلى تغليظ العقوبة فيرفع أمره إلى ولی الأمر^(٨٤).

وانتقدا في رسالتهم ما يقوم به بعض الجهال من الاجتماع والسير بين الناس بغير إذن ولی الأمر، فيضربون ضرباً غير محدد لا يؤمن معه شج الرأس أو كسر العظم، أو ربما أدى إلى موت المضروب، وتلف عضو من أعضائه، وأكدا أن هذا مخالف للشرع، وأن من يفعل ذلك فهو معتد وظالم، وإن من نسب ذلك إلى الشريعة فهو جان عليها، ويجرى عليه حكم جنائيه من دية أو قصاص وفق ما يقتضيه الشرع، وبينا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يختص به أحد دون أحد، بل كل يجب عليه ذلك بقدر مرتبته، وأما إقامة الحدود وما دون ذلك من الضرب والحبس فلا يفعله إلا الذي نصبه ولی الأمر، وأشارا إلى أن من يعارض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يرفع أمره إليهما، فيرفعونه إلى ولی الأمر، لإيقاع العقوبة المناسبة له، وأن ذلك هو مقتضى الدعوة إلى الله على بصيرة وهي طريقة النبي ﷺ وأتباعه^(٨٥).

وعلى أي حال فقد أتت هذه الرسالة أكلها بين من وجهت إليه، فقد بقيت تلك المناطق خاضعة للملك عبد العزيز، ولم تظهر معارضة

(٨٤) وثيقة رقم (٨) مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة عام ١٣٤٢هـ.

من ورقتين.

(٨٥) المصدر نفسه.

من الإخوان هناك، ولعل ذلك راجع بفضل الله إلى حكمة الشيخ عبدالله بن بليهد في مجادلة هؤلاء والتي هي أحسن، فكان يعقد معهم المناظرات، ويكرمهم، ويتأطّف معهم في الحديث، ولا يغادرونه إلا بعد أن يكونوا قد عرفوا الحق، وأدركوا أن ما يحتجون به على ولی الأمر ما هو إلا شبهة.

هذا إضافة إلى الجهود الكبيرة التي قام بها أمير المنطقة حينذاك الأمير عبدالعزيز بن مساعد، الذي قام بأعمال موفقة لعرقلة أية محاولة يقوم بها أنصار الإخوان المعارضين للملك عبدالعزيز في جهته للانضمام إلى أولئك المعارضين^(٨٦).

ولم تقف جهود الشيخ عبدالله بن بليهد عند هذا الحد؛ فنراه في العام نفسه يكتب رسالة إلى الإخوان ينصحهم فيها بالحرص على العلم، وأنه أحوج للإنسان من الطعام والشراب، والسمع والطاعة لولاة الأمر، والنصح لهم ظاهراً وباطناً، وأن أمر دينهم ودنياهم لا يستقيم إلا بذلك، كما قال النبي ﷺ: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة"، وأشار إلى أن هاتين الكلمتين تجمعان سعادتي الدنيا والآخرة، أما التقوى فهي كافلة سعادة الدنيا والآخرة؛ من تمسك بها، وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيهما سعادة الدنيا، وبهما تنظيم مصالح العباد في معاشهم، وبهما يسعيون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، وبين الشيخ أن طاعة لولاة الأمر ينتج عنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، واستخراج الحقوق، ونصر المظلوم، وكف الظلم، وغير ذلك من الأمور، ثم ذكر الشيخ مقوله وردت عن بعض السلف: "لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بطاعة"، وختم رسالته بالدعاء للجميع بالتوفيق لما يحبه ويرضاه^(٨٧).

(٨٦) المانع، محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة الدكتور عبدالله العثيمين، د. ط. د. ن. الدمام، ١٤٠٢هـ، ص ١٢٩.

(٨٧) وثيقة رقم (٩) مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة في عام ١٣٤٢هـ، من ورقة واحدة.

ويلاحظ في هذه الرسالة أن الشيخ أكد فيها على أن طاعة ولـي الأمر - في غير معصية الله - جزء من طاعة الله ورسوله، وعدده فيها نتائج ذلك، وما يعود بسيبه على الأمة من الخير، وقضاء مصالح العباد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، ولعل الشيخ قد من وراء هذه الرسالة تعميق مفهوم طاعة ولـي الأمر لدى الإخوان حتى لا يحصل ما لا تحمد عقباه.

وفي ٩ ذي الحجة من عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م كتب الشيخ عبدالله بن بليهد رسالة أخرى إلى الإخوان بعد أن رأى عليهم أموراً عدة أدت إلى نتائج خطيرة فقال الشيخ في رسالته بعد المقدمة: "فالواجب للكتاب هو النصح لكم، والشفقة عليكم، وتبيهكم على ما يدخل عليكم سبب الخلل في دينكم، من أمور تبلغنا عن ناس منكم يتكلمون فيها بغير علم، ويلزمون الناس القول بمقالتهم، ويقصدون بذلك الخير، والأمر كما قال بعض السلف: كم مرید للخير لن يصيبه. وسبب ذلك الإعراض عن العلم وإساءة الظن بمن يدل عليه، وإحسان الظن بأنفسهم، وقياس الأمور برأيهم، وهذا أمر خطير ومخوف، وضرره على الدين كبير كما في الحديث ثم يجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم؛ فينهدم الإسلام وينثلم، والمقصود التبيه على الأمور التي حصل فيها الغلط فمن ذلك" (٨٨):

- ١ - أن كثيراً منهم يلزمون جميع الбادية بالحكم على أنفسهم بالكفر، وكذلك من مات من آبائهم قبل أن ينتقلوا إلى الهجرة التي بنيت لتعليم البادية أصول الدين. وقد بيّن الشيخ أن هذا العمل محرم، ولا يجوز لمن لا علم عنده أن يتكلم فيه فضلاً عن أن يراه واجباً عليه، وأنه لا يصح له دين إلا به، ويسمى المتوقف فيه مرتب في دينه.

(٨٨) وثيقة رقم (١٠) مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة في ٩ ذي الحجة ١٣٤٢هـ، من ورقة واحدة.

٢ - أنهم يُنزلون الbadia والحاضرة الذين لم ينتقلوا إلى الهجر منزلاً تاركي الهجرة. وبين الشيخ أن الهجرة هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام كما عرفها بذلك العلماء، وأكد أن تسمية من في بلاد الإسلام تارك للهجرة خطأ واضح.

٣ - ومن أخطائهم ضربهم الناس وسبهم، وتسميتهم ذلك أمراً بالمعروف ونهيّاً عن المنكر. وقد أكد الشيخ لهم بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الدين، إلا أن القائم به عليه أن يتحلى بالعلم حتى يكون أمره ونهيه على موجب الشرع، وأن يميز بين ما يلزم أحد الناس، وما يختص به ولاة الأمر من إقامة الحد المقدر في الشرع، والتعزيزات التي قد يدخلها الاجتهاد، وتخالف باختلاف الأحوال كما هو معروف عند أهل العلم.

٤ - ومن الأخطاء التي وقعوا بها التعرض لمن يقدم إلى بلاد المسلمين سواءً أكان مهاجراً أو تاجراً أو رسولاً، ومن يسافر من بلدان المسلمين بإذن الإمام في حاجة المسلمين. وأشار الشيخ إلى أن التعرض لأحد من هؤلاء لا يجوز، وأن من أشكل عليه شيء من أمر دينه، فالواجب سؤال العلماء، امتنالاً لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنياء: ٧]، وطلب الشيخ من هؤلاء أن يرفعوا إلى ولاة الأمور التي تحتاج إلى تفتيذ^(٨٩).

(٨٩) وثيقة سابقة رقم (٠٤). وتتجدر الإشارة هنا إلى أنه توجد نسخة أخرى لهذه الوثيقة تختلف عن سابقتها بأن عليها تعقيبات لثلاثة من كبار العلماء في زمانهم، فأثنوا على ما ذكره الشيخ ابن بليهد، وأكملوا أنه موافق للحق والصواب. منها تعليق للشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - الذي قال: "وتفت على ما كتبه الأخ المكرم والفضل المقدم الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، فلما تأملته إذا هو الحق والصواب الذي لا شك فيه ولا ارتياط، وهو الذي نعتقده وندين الله به؛ لأنَّه ما خرج فيما كتبه عن مقتضي الكتاب والسنة، ولا ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، ولا ما عليه أهل التحقيق من العلماء الذين هم الأسوة وبهم القدوة، وهذه الأمور التي ذكرها الشيخ قد تحققناها، وبلغنا ما نسبت إليه =

ويلاحظ هنا على هذه الرسائل ما يأتي:

- ١ - أن الشيخ صدر رسائله بالدعاء، وبيان أن الموجب لكتابه هذه الرسائل هو النصح للمخاطبين والشفقة عليهم بأسلوب يفيض باللطف واللين.
- ٢ - يبين الشيخ في هذه الرسائل أن الإخوان يريدون الخير بأعمالهم التي لحظها عليهم، وهذا إحسان الظن بالمخاطبين، وهو أسلوب حكيم أدعى لقبولهم النصيحة.
- ٣ - أكد الشيخ في هذه الرسائل على أهمية العلم حتى لا يقع المسلم في إثم وهو لا يدرى.
- ٤ - برزت في هذه الرسائل قدرة الشيخ العلمية في مختلف مسائل العلم؛ فكانت نصائحه مبنية على الدليل الشرعي من الكتاب والسنة.
- ٥ - كان الشيخ مدركاً لأهمية امتحال الناس عامة، والمخاطبين خاصة من الإخوان لولاة الأمور، حفاظاً على أمن البلاد والعباد.

وعلى الرغم من جهود العلماء والأمراء في مناصحة الإخوان في محاولة منهم لجمع الكلمة، إلا أن تلك المحاولات لم تلق قبولاً من بعض زعمائهم، ولذلك رأى الملك عبدالعزيز أن من الحكمة أن يعقد

= من هؤلاء الجهال المتعلمين الذين لا معرفة لهم بمدارك الأحكام وما عليه أئمة الإسلام، بل هي مما استحسنوه بآرائهم الفاسدة، وقياسوه بظنونهم وأفهامهم القاصرة . وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن: "وقفت على ما كتبه الشيخ الفاضل المكرم عبدالله بن سليمان بن بليهد في ذكر الأحوال التي أحدثها هؤلاء المتدلين فإذا هو الحق والصواب الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وهو الذي نعتقده وندين الله به بلا شك ولا ارتياح، فإن هؤلاء أحدثوا من البدع الضالة والأمور المحرمة أموراً لم يشرعها الله ولا رسوله قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] ، وقال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق: "وقفت على هذا الكلام النفيسي الذي كتبه الشيخ الفاضل عبدالله بن سليمان سلمه الرحمن، وجعله من أوعية العلم والإيمان، فرأيته موافقاً للحق مشتملاً على بذل النصيحة لعباد الله والعنابة والصدق". انظر: وثيقة رقم (١١) مصورة من أحد أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد غير مؤرخة، من ورقتين.

مؤتمراً في الرياض يكون في طليعة من يحضره العلماء، والأمراء، وزعماء الإخوان والقبائل، فتقرر أن يكون المؤتمر تحت مسمى (الجمعية العمومية)، وعقد في جمادى الأولى ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م إلا أن زعماء الإخوان لم يحضروا بل أرسلوا من ينوب عنهم^(٩٠)، ومن المؤكد أن الشيخ عبدالله بن بليهد كان في طليعة العلماء الحاضرين، ويؤكد ذلك أن الملك عبدالعزيز كان يستشير الشيخ فيما يتعلق بالإخوان^(٩١)، ويضاف إلى ذلك أن من المسائل المثارة في هذا المؤتمر قضية البرقيات، وكان للشيخ رأي فيها يؤكد أنها عمل بشري، ليس للسحر فيها مجال، وهذه من المسائل التي للشيخ فيها علم بسبب سفره للهند ومشاهدته لها هناك، حيث كانت بريطانيا تستعمر الهند.

وقد انفض المؤتمر عن تجديد البيعة للملك عبدالعزيز، وقد بدأ الجميع وكأنهم مقتعون بالفتاوی التي أجيّب بها عن المسائل التي أثارها من حضر من الإخوان، ولعل ذلك مما أعطى الملك عبدالعزيز رافداً مهماً؛ لاتخاذ ما يراه مناسباً تجاه المعارضين له^(٩٢).

إلا أن بعضَّا منهم لم يغيروا موقفهم، وأعلنوا أنهم القائمون حقاً بأمر الجهاد والدين، ولهذا ألحَّ ابن بجاد على الملك عبدالعزيز كي يسمح له ولأتباعه بغزو من وصفهم بأعداء الإسلام خارج حدود البلاد الشمالية، ويدرك أحد المؤرخين^(٩٣) أن الملك عبدالعزيز استدعاي الشيخ عبدالله بن بليهد من الفوارة^(٩٤)، وأطلعه على رسالة

(٩٠) العثيمين، مرجع سبق ذكره، ج ٢، ص ٢١٨-٢١٩.

(٩١) نفسه، ج ٢، ص ٢٢١.

(٩٢) نفسه، ج ٢، ص ٢٢١.

(٩٣) العبيدي، محمد بن علي، النجم اللامع للنواودر جامع، مخطوط غير متداول لدى أقارب مؤلفه، ص ٢٤٦-٢٤٧؛ العثيمين، مرجع سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٢١. من الحاشية.

(٩٤) الفوارة: بلدة قديمة تقع في غرب منطقة القصيم، وتبعد عن بريدة حوالي ١٥٧ كيلماً، ولها ذكر في كتب البلدان القديمة. العبودي، مصدر سبق ذكره، ج ٥، ص ١٨٦٧-١٨٧٨.

من ابن بجاد إليه، يشير فيها أن أتباعه ثائرون عليه يريدون أن يسمح لهم بالغزو، وإلا فإنهم سيقومون بذلك دون إذنه، ويدرك أن الشيخ أشار عليه بأن يدعهم يفعلون ذلك، إلا أن الملك عبدالعزيز تريث في اتخاذ قرار بشأن هذه المسألة.

سابعاً: عودة الشيخ عبدالله بن بليهد إلى قضاء حائل للمرة الثانية

تفيد إحدى الوثائق التي بين أيدينا أن الملك عبدالعزيز بعد أن عين الشيخ عبدالله بن بليهد رئيساً لقضاء الحجاز، عين الشيخ حمود بن حسين الشغيلي^(٩٥)، قاضياً في حائل والمناطق التابعة لها، وقد أمره بال بت في القضايا، وعدم تأجيل شيء منها، وفي هذا يقول الملك عبدالعزيز في رسالته إلى الشيخ حمود: "... كذلك سلمك الله الشيخ عبدالله بن سليمان حالياً محتاجين لبقائه في مكة موجب دعاوي الأهالي، والنظر فيها، وتفهم أن طرفكم ... [كلمة غير واضحة] وواضحة] لمعرفة طالب علم ينظر في دعاوي ... [كلمة غير واضحة] ويخلص بينهم، وقد عهد الشيخ بذلك إليك، وإنما يبلغني أن بعض الدعاوى تأجلونها إلى حضور الشيخ، ولا هوب معلوم أن كل دعوى تأجل لهذا إن شاء الله تستعين بالله وحده، وتجلس للناس وتحرص على تحري موافقة المشروع، ونسئله [هكذا] تعالى أن يوقف الجميع لما به الصواب، وترا هذا شيء ما عنه بد ولا لك عذر من ملزوم إن شاء الله تستقيم فيه والشيخ ماله ... [كلمة غير واضحة] تطول فقط حالياً وهو جايكم إن شاء الله، هذا مالزم تعريفه والسلام..."^(٩٦).

(٩٥) ولد الشيخ حمود بن حسين الشغيلي في حائل عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م، وتتملذ على علماء بلده، ثم رحل إلى الرياض؛ فطلب العلم هناك على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٩م، وتميز بعلم الفقه والعقيدة والعربية، وكان شاعراً، كان يكلف بالقضاء نيابة عن الشيخ عبدالله بن بليهد حتى عام ١٣٤١هـ / ١٩٤١م، عُين قاضياً رسمياً فيها حتى أحيل على التقاعد عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م، وتوفي عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، وله علاقة وثيقة بالملك عبدالعزيز. البسام، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٣٦ - ١٤٠.

(٩٦) وثيقة رقم (١١) من ورقة واحدة مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد مؤرخة في عام ١٣٤٤هـ.

وبعد التمعن في هذه الوثيقة تتبين لنا النتائج الآتية:

- ١ - أن الشيخ عبدالله بن بليهد أذن له الشيخ حمود الشغيلي بعد أن كُلف الأول في رئاسة قضاء الحجاز، إلى أن صدر التكليف الرسمي من الملك عبدالعزيز للشيخ حمود الشغيلي بتولي قضاء حائل.
- ٢ - أن الشيخ حمود كان يؤجل بعض القضايا إلى حين عودة الشيخ عبدالله بن بليهد إلا أن الملك عبدالعزيز أمره بالبت في قضايا الناس حتى لا تعطل مصالحهم.
- ٣ - تُبيّن هذه الوثيقة أن الملك عبدالعزيز استعان بالشيخ عبدالله بن بليهد لرئاسة قضاء الحجاز، وتنظيم شؤونه لفترة مؤقتة، حتى تستقر الأمور هناك، ومن ثم يعيده إلى حائل وما حولها، وذلك فيما يبدو بعلم من الشيخ.

ومهما يكن الأمر فإنه بعد نهاية موسم الحج عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م بأسبوع طلب الشيخ عبدالله بن بليهد من الملك عبدالعزيز إعفاءه من عمله في الحجار فرفض الملك بداية، وبعد إلتحاقه من الشيخ وافق، وبعد أن علم أهل حائل جاءه وفد منهم إلى الملك عبدالعزيز يطلبون منه تعيين الشيخ قاضياً عندهم للمرة الثانية، فأحال الملك الطلب إلى الشيخ فاعتذر من أهل حائل، فرجعوا إلى الملك وألحوا في الطلب، فأشار عليه أن يلبي طلبهم، فوافق الشيخ على هذا الأمر، فارتاح من مكة المكرمة وبasher عمله هناك قاضياً ومدرساً في جامع برزان^(٩٧). وهذا لا يعني أن الشيخ كان منقطعاً عن زيارة حائل خلال توليه رئاسة قضاء الحجاز، بل كان يزورها بين الفينة والأخرى.

وقد باشر الشيخ عبدالله بن بليهد عمله رسمياً في حائل للمرة الثانية في مستهل عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٦م، واستمر في القضاء

^(٩٧) القاضي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٣٩٤؛ الهندي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

والتدريس في جامع بربان حتى ذي الحجة عام ١٣٥٨هـ / ١٩٤٠م، فسافر إلى الحج ومعه بعض أعيان حائل، وبعد إتمام مناسك الحج طلب من الملك عبدالعزيز أن يعفيه من القضاء، بعد أن ضعف جسمه، وتکاثرت عليه الأمراض، فوافق على ذلك^(٩٨).

وفي مجال حلقات الدرس التي يعقدها الشيخ عبدالله بن بليهد في جامع بربان يذكر أحد تلاميذه^(٩٩) ذلك بقوله: "فكان طلبة العلم يجتمعون إليه حلقاً متابعة، حضرت دروسه في صغيري، وقرأت عليه ثلاثة الأصول، وأدب المشي إلى الصلاة، وكان الناس يتعجبون من فصاحته، وتقريره، وتحليله للمسائل، وإخراج النتيجة مما يماثلها، حتى كأن كتب الدنيا بين عينيه، إذا تكلم بشيء قلت: هو الإمام فيه سواءً كان حديثاً أو تفسيراً أو فقهاً، أو عربية أو فرائض، أو تجارة أو زراعة أو صناعة...". وبذلك تلمذ^(١٠٠) عليه عدد كبير من الطلاب، ورحل إليه العديد منهم من المناطق القريبة من حائل، وأصبح هو المعتمد الأول فيها في التدريس والإفتاء.

(٩٨) المقرن، محمد بن عبدالله، من أعلام القضاء، مجلة العدل، العدد ٢٠، السنة الخامسة، الرياض، شوال ١٤٢٤هـ، ص ١٩٨.

(٩٩) الهندي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(١٠٠) من أبرز تلاميذه: الشيخ حمود الشغيلي قاضي مدينة حائل، والشيخ سالم صالح البنيان، والشيخ علي محمد الهندي، الشيخ حمد أبو عرف، والشيخ أحمد المرشدي قاضي مدينة حائل بالنيابة، والشيخ علي بن صالح آل بنيان، والشيخ عبد الرحمن سليمان الملق من قضاة مدينة حائل بالنيابة، والشيخ محمد بن عبد الوهاب بن عقيل قاضي دومة الجندي، والشيخ حمد بن سليمان بن بليهد أخو الشيخ عبدالله، والشيخ عبدالله بن صالح الخليفي، والشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي، والشيخ علي بن عبدالعزيز العباس، والشيخ محمد بن خلف قاضي تيماء، والشيخ محمد الشاوي قاضي شقراء، والشيخ محمد بن عبدالعزيز الرشيد قاضي الرس ثم رنية، والشيخ محمد بن صالح الخزيم، وغيرهم كثير، القاضي، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٤٠٠؛ الهندي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩؛ البسام، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ١٤٧ - ١٤٨.

ثامناً: منهجه في القضاء

يحرص الشيخ عبدالله بن بليهد على توافر الأدلة الكافية، والشروط الشرعية للنظر في أي قضية، لأن الأصل براءة المدعى عليه، كما أن الشيخ يعمد إلى التوصل إلى صلح بين المتخاصمين، لأن في ذلك تطبيق للنفوس، قد لا يوجد إذا صدر الحكم الشرعي بين المتخاصمين^(١٠١).

ويقول عنه أحد تلاميذه^(١٠٢): إن الشيخ "غرس في الناس أحكاماً خفف فيها المشاكل بين الناس إلى اليوم، كان يقضي قضايا يهرب العقول ما نراه إلا إلهاماً من الله تعالى؛ لأن الطرفين لا يمكن أن يرضيا بقضاء قاض مهما كان مبلغه من العلم والعقل، غير أن الشيخ ابن بليهد لا يقوم من عنده الطرفان غالباً إلا وهم راضيان كل الرضاء، والقضاء عليه أيسر وأسهل من كل شيء"، ولعل ذلك في الواقع راجع إلى أمرين :

- ١ - أن الشيخ يملك لباقه في الحديث وحسناً في الأسلوب، وعلمًا غزيرًا، وفهمًا للمسائل.
- ٢ - قوة الإقناع، وقدرة الشيخ على إقناع المتخاصمين بالحق حتى بعد صدور حكمه في الخصومة.

كان للشيخ خلال ممارسته للقضاء في منطقة حائل وما حولها علاقة وثيقة مع الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوى أمير المنطقة؛ لأن الشيخ بيده السلطة القضائية، والأمير يملك السلطة التنفيذية، ولهذا كان هناك تشاور فيما بينهما في سبيل إنهاء بعض النزاعات التي تكون بين الناس، لا سيما تلك التي تقوم على المزارع، وإذا لم تصح ملكية أرض ما للمتخاصمين، فإن الشيخ يترك الخيار فيها للأمير^(١٠٣).

الدّار
الْأَكَادِيمِيَّةُ الْمُسْكَنِيَّةُ
جَامِعَةُ الْمُسْكَنِيَّةِ وَالْمُدْرَسَاتِ الْمُسْكَنِيَّةِ

(١٠١) مقابلة سبق ذكرها.

(١٠٢) الهندي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(١٠٣) وثيقة رقم (١٢) من ورقة واحدة وهي رسالة من الشيخ عبدالله بن بليهد إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوى مصورة من أحفاد الشيخ.

وربما يعمل الشيخ على إرسال من يثق بهم من أصحاب الخبرة للخروج إلى مكان النزاع، ومحاولة حلّ الخصومة هناك وإنهاها، ثم بعد ذلك يقوم الشيخ بالتصديق على هذا الصلح^(١٠٤)، ويكون في ذلك قطع للنزاع دون الترافع أمام القاضي، وهذا فيه دلالة على ما يتمتع به الشيخ من حكمة وبعد نظر، وإدراك لعواقب الأمور.

أما الأحكام السابقة التي صدرت من قضاة سابقين، وتتشاءم فيها خصومة جديدة؛ فإن الشيخ غالباً ما يُجري العمل في الحكم السابق، ويصدق عليه، وله في ذلك وثائق عدّة^(١٠٥).

تاسعاً: أنشطة متنوعة قام بها الشيخ

تميز الشيخ عبدالله بن بليهد بمهارات متنوعة، منها أنه كان بارعاً في الدلالة، وله خبرة واسعة في معرفة الطرق والأماكن، وموارد المياه، والبلدان، والوديان، والجبال، ولهذا يذكر أن الشيخ كان يتوجول في صحاري نجد بسيارته، ففي عام ١٩٢٦هـ / ١٣٤٥هـ قام الشيخ برحلة برية على سيارته، من مكة المكرمة إلى جدة، ثم المدينة النبوية، ثم حائل، ثم إلى القصيم، ورجع من ذلك الطريق حتى وصل إلى مكة المكرمة، واستطاع أن يقطع المسافة بين المدينة النبوية وجدة خلال اشتيا عشرة ساعة، وهي مدة قصيرة في ذلك

(١٠٤) وثيقة رقم (١٢) من ورقة واحدة مصورة من أحفاد الشيخ، وقد كتب الشيخ في أسفل ورقة الصلح: "ليكن معلوماً بأنني أجريت الحدود المذكورة أعلى الورقة بين... وعلى موجب ما ذكروا ألزمت كلاً منهم بذلك قطعاً للنزاع ودفعاً للضرر عن الجميع...".

(١٠٥) انظر مثلاً: وثيقة رقم (١٤) من ورقة واحدة مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، ومؤرخة في عام ١٣٢٨هـ، وفيها حكم للشيخ صالح بن سالم آل بنبيان قاضي حائل المتوفى عام ١٣٢٠هـ، وكتب الشيخ عبدالله بن بليهد في أسفله: "ليكن معلوماً بأن العمل على ما حكم به الشيخ صالح رحمة الله، كما هو مقرر أعلى الورقة [هكذا]، فلا يشكل عن من نظر فيه قال ذلك كاتبه عبدالله بن سليمان البليهد وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ١٣٥٥هـ".

الزمن، وقد أسهمت معرفة الشيخ وخبرته الشخصية بالطرق الصالحة لسير سيارته^(١٠٦).

ومن خلال قراءات الشيخ عبدالله بن بليهد، ومعرفته بالأماكن تبين له وجود إمكانية لإعادة جريان عيون مياه كانت موجودة في الفوار^(١٠٧)، لا سيما وأنها كانت أرضاً ذات نخل وزرع في صدر الإسلام؛ إلا أنها اندثرت وأصبحت فيما بعد مورد ماء ترتاده قبائل العرب، مجردًا من كل عمارة، بل هو مجرد حتى من ذكر تلك العيون، وفي عام ١٢٤٣هـ / ١٩٢٤م زارها الشيخ، وقام بإجراء إحدى عيونها، ونقل إليها فسائل النخيل من القصيم، وعمّرت الفوار^(١٠٨) من جديد، وأصبح الشيخ عبدالله بن بليهد يزورها بين الفينة والأخرى، وبعد ذلك نزل الفوار^(١٠٩) أميربني سالم من قبيلة حرب حجاب بن نحيت وجماعته واستوطنوها، واتخذوها هجرة لهم، وذلك في عام ١٢٤٤هـ / ١٩٢٥م^(١٠٨).

ويشير بعض المعاصرين^(١٠٩) للشيخ أنه تكب خسائر كبيرة، وتحمل ديوناً كثيرة من جراء ذلك، وعلى أي حال فقد أهملت تلك العين بعد وفاة الشيخ، وقللت العناية بها حتى مات نخيلاها^(١١٠).

عاشرًا: مؤلفات الشيخ

كان الشيخ عبدالله بن بليهد مقللاً في التأليف، ولعل ذلك راجع إلى كثرة أسفاره وتنقلاته في عمله، بين القصيم، وحائل، والحجاز إلا أن أحد المؤرخين ذكر أن له حواشٍ عدّة في الفقه والحديث مما كان

(١٠٦) صحيفة أم القرى، العدد (١٣٠) بتاريخ ٢/١٢/١٢٤٥هـ، ص ٢؛ البسام، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ١٤٣-١٤٦.

(١٠٧) سبق تعريفها.

(١٠٨) العبدودي، مصدر سبق ذكره، ج ٥، ص ١٨٧٤-١٨٧٦؛ مقابلة سبقت الإشارة إليها.

(١٠٩) مقابلة سبقت الإشارة إليها.

(١١٠) العبدودي، مصدر سبق ذكره، ج ٥، ص ١٨٧٦.

يكتبه من مشايخه، وما يمر عليه أشقاء قراءته^(١١)، وطبعت له رسائل وردود عده سبقت الإشارة إليها.

والمشهور من مؤلفاته كتاب "جامع المسالك في أحكام المنسك" طبع أول مرة في عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م بمطبعة أم القرى على نفقة الملك عبدالعزيز، وكان يوزع مجاناً^(١٢)، كتب على غلافه: "للعلم العامل العلامة والجبر الفهامة شيخ الإسلام ومفتى الأنام صاحب السماحة فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالله بن سليمان آل بيلاه رئيس القضاة متمناً الله ب حياته آمين" ، وقال الشيخ في مقدمته: "فهذا مختصر في أحكام المنسك على المذاهب الأربع، اقتصرت فيه على بيان الحكم من غير ذكر الأدلة، ولم أنعرض فيه لترجح ولا تزييف؛ لأن الغرض بيان ما هو المعتمد في غالب المسائل في كل مذهب، تقريراً للعامة المتقيدين بما عليه الفتوى في المذاهب، ورتبته على أبواب وفصول"^(١٣)، ويبلغ عدد صفحات هذا الكتاب ستة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط.

وبعد الفراغ منه أهداه إلى الملك عبدالعزيز ومعه هذه الآيات:

يا أيها الملك الإمام لأمة	عذته من تقواه من نساكها
هذى المنسك في المنسك روضة	مثل النجوم تضيء في أفلاكها
لأئمة سادوا بنيل سماكها	قد أوضح الدين الحنيفي نهجها
وتمسكون بأدلة كالشمس في	إشراقها فالسعد في إمساكها
تسعى إليك هدية من خادم	لعلم كي يحظى بحسن دراكيها
فأرشد بها غادي الطريق فإنها	شمس تثير وأنت من أفلاكها ^(١٤)

(١١١) القاضي، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٠٠.

(١١٢) الظاهر، علي جواد، معجم المطبوعات العربية، المملكة العربية السعودية (١٣٤٤-١٢٩٠هـ / ١٩٢٥-١٩٧٠م)، المكتبة العالمية والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٣٦.

(١١٣) آل بيلاه، عبدالله بن سليمان، جامع المسالك في أحكام المنسك، د. ط، د. ن، ١٤٠٢هـ، ص ٢.

(١١٤) البسام، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ١٤٦.

تكشف هذه القصيدة أن الشيخ عبدالله بن بليهد كان يمتلك موهبة شعرية، غير أنه لم يحفظ عنه غيرها.

ومن جهود الشيخ العلمية والدعوية رسالة طبعت ملحقة بكتابه المسالك بعنوان "سؤال وجوابه في مدعى الخلافة" من ست ورقات؛ وهي رد من الشيخ على عالم من علماء الهند ادعى أنه خليفة زمانه^(١١٥)، ويبين هذا الرد سعة علم الشيخ، وقدرته على سرد الأدلة، وتحليل النصوص، ثم استنباط الأحكام.

حادي عشر: وفاة الشيخ

زادت الأمراض على الشيخ عبدالله بن بليهد في آخر حياته، ولذلك طلب إعفاءه من عمله، فوافق الملك عبدالعزيز على ذلك في عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩، وكان الشيخ يعاني من مرض في أمعائه سبق أن أجرى لها عملية جراحية في الهند، ولهذا كان جسمه نحيلًا، واتبع حمية من بعض الأطعمة، وكان الحر يضعف جسمه، فنزل في الطائف طلباً للراحة، فاشتد مرضه هناك، وأصيب بالحمى نحوً من شهر ثم توفي في الساعة الثالثة ليلاً [بالتوقيت الغربي] ليلة الاثنين العاشر من جمادى الأولى من عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م، وصلي عليه في مسجد ابن عباس، ودفن في مقبرة الشهداء^(١١٦).

وقد تقدم المصلين على جنازته الأمير فيصل بن عبدالعزيز، نائب الملك على الحجاز، وقضاة مكة المكرمة والطائف، والمسؤولون في الدولة، وأعيان الطائف ووجهاؤه، كما أقيمت صلاة الغائب في جميع مدن المملكة وقرها تقديرًا من الدولة لرجالها^(١١٧).

الدّارالشّام - الدارالشّام - الدارالشّام - الدارالشّام - الدارالشّام - الدارالشّام

(١١٥) آل بليهد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨-٦٤.

(١١٦) صحيفة أم القرى، العدد ٨٠٩، بتاريخ ١٥/٥/١٣٥٩هـ، ص ٥؛ البسام، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ١٤٨.

(١١٧) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

وقد رثاه كثير من العلماء والأدباء منهم أحمد إبراهيم الغزاوي نائب رئيس مجلس الشورى في قصيدة طويلة فقال^(١١٨):

في مثلك الصبر عند الله يحتسب
والعلم يُفقد والأشجان تصطخب
يا ويح كل فؤاد أنت موقظه
أمسى بفقدك في أعماقه يثب
وابا رزئه هذا النعي في ملأ
كأنما الدمع من آماقه عب
تهل عبراته حزنا على جدت
فيه السماحة والأخلاق والأدب

كما رثاه ابن عمه محمد بن بليهد في قصيدة طويلة هذا جزء منها:

ما بال عينك منها الدمع ينهر
كأنه جدول أو مدرج مطر
 جاء البريد وفي أولى حقائبه
من بعد ما ألقيت أثقاله خبر
اهتز نجد وأقصاء البلاد له
وقد شكا الحزن منه البدو الحضر
موت الفقيد الذي تبقى ماثره
وكل منقبة تبقى بها العصر^(١١٩)

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

^(١١٨) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٤٩ .

^(١١٩) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

الخاتمة

- من خلال دراسة حياة الشيخ عبدالله بن بليهد وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة يمكن إجمال النتائج فيما يأتي:
- ١ - كان اختيار الملك عبدالعزيز للشيخ عبدالله بن بليهد للقضاء اختياراً موفقاً لما يتمتع به الشيخ من سعة علم، وبعد نظر، وأسلوب حكيم في الدعوة إلى الله، وقوة حجة في الإقناع.
 - ٢ - نجح الشيخ عبدالله في نشر الدعوة السلفية الصحيحة في منطقتين مهمتين هما حائل والحجاز.
 - ٣ - قام الشيخ عبدالله بجهود موفقة وناجحة في الحجاز، وتم على يديه القضاء على كثير من البدع والخرافات في تلك المنطقة المهمة.
 - ٤ - عمل الشيخ عبدالله على نشر العلم الشرعي الصحيح، القائم على الدليل من الكتاب والسنة بين الناس خلال دروسه التي كان يعقدها سواء في حائل أو في الحرمين الشريفين.
 - ٥ - ارتبط الشيخ بعلاقات وثيقة مع بعض علماء العالم الإسلامي ودعاته، وتراسل معهم، وذلك بعد لقائه بهم في مواسم الحج، وفي مؤتمر العالم الإسلامي الأول.
 - ٦ - مثل الشيخ عبدالله الملك عبدالعزيز في مؤتمر العالم الإسلامي الأول الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ونجح الشيخ نجاحاً باهراً في الرد على من دعا إلى إعادة بناء القباب والمزارات البدعية، ونجح - في وقت بالغ الحساسية - في الخروج من هذا المؤتمر بنتائج جيدة على الأقل.
 - ٧ - تعد التنظيمات القضائية التي وضعها الشيخ عبدالله بعد توليه رئاسة قضاء الحجاز أساساً اعتمدت عليه التنظيمات القضائية في المملكة العربية السعودية.

- ٨ - قام الشيخ بجهود موفقة في مناصحة الإخوان في حائل وما حولها، وتعليمهم، الأمر الذي نتج عنه أن حيد هؤلاء ظلم ينضموا إلى المعارضين للملك عبدالعزيز.
- ٩ - كان للشيخ عبدالله علاقات قوية مع الملك عبدالعزيز، فأصبح الملك يستشيره في بعض المسائل الحساسة.
- ١٠ - تميز الشيخ عبدالله بمنهج حكيم في القضاء بين الناس، فحرص على عقد الصلح بين المتخاصمين قبل أن يتخاصموا عنده، مما أدى إلى نهاية كثير من النزاعات قبل وصولها إلى المحكمة.
- ١١ - تبين من هذا البحث أن الشيخ عبدالله من العلماء القلائل في زمانه، إذ جمع بين العلم الشرعي، ومعرفة عامة لبعض العلوم الحديثة، وربما يرجع ذلك إلى دراسته في الهند خلال رحلته العلاجية.
- ١٢ - أن انشغال الشيخ في القضاء والدعوة إلى الله كان من أهم أسباب قلة مؤلفاته، وليس ذلك راجع إلى قلة علمه، وعدم قدرته على ذلك.